مَـــرْسَـــحْ

منصّة أدبية مسرحية

የክርሞ ሰው

# رجل الغد

تسيغاي غابري-ميدهين

ከጸጋዬ ገብረ መድኅን

**مرسح**

منصة أدبية مسرحية إلكترونية تفاعلية مهتمة بنشر الأعمال المسرحية العربية الأصلية والمترجمة للعربية من مختلف الثقافات وترويجها عبر واجهة إبداعية منوعة، لخلق تجربة تلقٍّ مختلفة للنص المسرحي تستقطب جمهورا أوسع، وتشجع حركات التأليف والترجمة والقراءة في العالم العربي وتفتح بابا آخر للتفاعل والنقاش المسرحي.

العنوان الأصلي للنص: (ይኪይዶ ሰው) **የከርሯም ሰው**
تم الحصول على النسخة الأصلية من النص باللغة الأمهرية من مكتبة جامعة أديس أبابا.
تاريخ النشر: 1966

نقلتها من الأمهرية إلى الإنكليزية: نافكوتي تاميرات.

ترجمة: فادي الطفيلي
تدقيق: زين صالح
تُحفظ الحقوق المعنوية للمترجمين

جميع الحقوق محفوظة لـ"مسرح أنسمبل" - 2019
مسرح أنسمبل هي جمعية مسرحية غير ربحية تهتم بتطوير واحتضان التجارب النقدية والبحثية المسرحية وتولي الاهتمام للخشبة العربية وتهدف إلى إعادة توجيه اهتمام الجمهور وتشجيع التجارب المسرحية الجديدة والقيمة.
masrahensemble.org

نُشر هذا النص بدعم من الصندوق العربي للثقافة الفنون – آفاق ومسرح أنسمبل

# القسم الأوّل

تحت صرّة أديس أبابا، تقع بلدة غولا حيث استأجر موغيس - بعد تسديده فواتير الماء والكهرباء - كوخاً يتألّف من غرفة واحدة بحجم مطبخ، مقابل مبلغ ثلاثة عشر برّاً. الكوخ مبنيٌّ من ورق الجرائد المغرّى وكرتون الصابون طالما أنّ ما تسميه «حياةً »، هو «بيتك حتى لو دفنت فيه». صاحب المُلْك باشا تيليلا بنى الكوخ قطعةً قطعة، وألصقه بخلفيّة منزله. ولم يكن السببُ نيَّتَهُ العيشَ فيه في يوم من الأيام، بل لأنه فكّر أنّه في حال أثقلت الهموم عنق أحدهم من مُعدَمي الحال، فإنّ ذاك التّعس سيدفع أيضًا إلى باشا تيليلا مبلغ 13 برّاً؛ فالمال ضروري جدًّا لعلاجه من سرطان الرئة.

مع حلولِ الشهرِ الفائتِ مَضَتْ ثلاثةُ أعوامٍ على مجيء موغيس للعيش هنا، واثنا عشر عاماً منذ تولّيه وظيفة حفظ السجلّات في الأرشيف براتب خمسة وستين برًّا. خلال هذه الأعوام الاثني عشر، تعلّم الكثير عن الحذر وطأطأة الرأس طاعةً على حساب كلّ ما يتعلّق بالإقبال على الحياة. موغيس في الثالثة والثلاثين من عمره. انفصل عن زوجته منذ عامين. وبسبب فورة في دمه، أصابت شيئًا يسمّونه «أعصابه»، تعرّض دماغه للمسّ بعض الشيء فنُقِل إلى مستشفى إيمانويل للأمراض النفسيّة. ولبث شهرين فيها. همّت زوجته في هذه الأثناء بالرحيل قبل خروجه من المستشفى، خشية صدمةٍ تُصيب وليدها الجديد فتودي به. لكنها، ولأنّ الضغط الذي قاده إلى هذا المرض أثّر عليها أيضاً، فقد كانت تنتظر بفارغ الصبر مبرراً، وتتحيّن الفرص كي تتخلّص منه. ما دفعها إلى المغادرة سراً وعلى الفور سرعانَ ما دخل المستشفى. حتّى أنّها تركت رسالةً تقول فيها إنّها بخير وانتهت منه ومن المنطقة القريبة من الطريق العام. هناك حيث يمكن للمرء أن يفقد صوابه إثر هدير محركات السيّارات اللانهائي.

شقيق موغيس الأصغر، تيكولا، يعيش معه. وتيكولا بجسده وعقله يعيش فتوّة أعوامه

الثلاثة والعشرين بالطول والعرض. مضت عشرة أيّام على مجيء عمّهما آبيي[1] زيرفو، حاملًا خبر وفاة أحد الأقرباء. وقد قرّر أن يُعيد لهما قطعة من أرض والدهما (بمساحة غاشا[2]).

منذ بلوغه السابعة والستين وآتو[3] زيرفو يعاني من نزيف مِعويّ.

يوم سبت. تُفتح الستائر ونلاحظ أنّها الثامنة والربع صباحاً. نهض موغيس من الفراش وراح يغسل وجهه مستخدماً ماءً من قنينة موضوعة قرب بابه. آتو زيرفو ينام على السرير الخشبي إلى يساره. إلى جانب سريره، ثمّة سكين معلّقة مع غمده القديم.

الباب الأمامي للبيت يقع في جهة اليسار. ولأنّ الجدار الخلفي ملتصقٌ بمؤخّرة بيت صاحب المُلْك، فإنّ السقف المعدنيّ المضلّع ينحدر على نحو يختلف عن انحدار سقف بيت صاحب الملك. سرير موغيس المعدني يلتصق بهذا الجدار الخلفي ذاته. وعند حافّة سريره الأماميّة، فوقها مباشرة على الجدار، ثمّة ثقب مفتوح مسدود ببساط قديم. حين يُفتَح هذا الثقب يجد الدخان المنبعث من بيت باشا تيليلا طريقه إلى المنزل. على الطاولة مباشرة بعد باب المدخل، يمكن رؤية نصف قطعة خبز لا تتجاوز قيمتها خمسة وعشرين سنتًا، روايتان بوليسيّتان باللغة الإنكليزيّة، تيرموس للمياه، موقد وعلبة أعواد ثقاب، وتحتها هناك مقعد بالٍ، وكرسيّ خشبي وُضع عليه طبقٌ فارغ. فوق المقعد عُلّقت آلة كْرار[4] عندما يدسّ تيكولا أصابعه من خلال الفراغات في أعلى الباب، يخلق فتحة يرى

---

**1** آبيي هو لقب يطلق احترامًا على الأكبرعمرًا، أكان فردًا من العائلة أم صديقًا مقرّبًا لها.
**2** غاشا هي وحدة قياس محلّيّة.
**3** آتو تعني سيد.
**4** الكرار هي قيثارة من ستّة أوتار.

من خلالها أن موغيس مستيقظ، فيقف للحظة، ثمّ يهمّ على الفور بمدّ عنقه إلى الخارج مثل ثور غير عابئ، ويمرّ متخطّيًا إياه، فيضع الطبق على الأرض، ويهبط على الكرسي، وتكون رجلاه مفتوحتين على الآخر. يبقى موغيس صامتاً كأنّه لم يره.

## المشهد 1

**تيكولا:** (هنيهة صمت، يتفحّص حذاءه): ما في ولا تلميذ بالصف السابع ما عندو صبّاط. في منن حتّى عندن تلاتة أو أربع صبابيط تيغيّرو... أنا، صار مارق سبع تيّام من وقت ما فختت بحصة هالنعل ونزعتلي جوز صباطي الوحيد. (يخلع فردة حذائه اليمنى ويدسّ سبابته في الثقب ما بين النعل وسقف الحذاء) هيدي هيي. بدل ما يحميني من الطرقات الوعرة، خلّا أصبع إجري يضهر ويصير عائق إضافي. بدل ما يدافع عنّي الصباط صار يعوّرني. (يعود وينتعل الحذاء ويتابع كلامه فيما ينظر إلى أصبع قدمه النافر من ثقب الحذاء) للأشخاص يلّي بدّن يكونوا عالموضة، لبس صباط مفخوت بهدلة. ما في حدا بصفنا ما عندو صباط.

**موغيس:**(مجفقًا شعره بمنشفة، وبنبرة غير مبالية) منشان هيك عدت الصف السابع مرتين، والثالثة ع الطريق.

- وضربت أستاذك وفلّيت؟ (صمت مديد. قميص موغيس مصنوع من نايلون رقيق. ياقته غير مرتبة كما ربطة عنقه. يحمل معطفه الرمادي البالي وكأنه كتلة صوف قديمة. سرواله النايلون قديم لدرجة أنه يتماشى مع شكل ركبتيه حتّى في وضعيّة الوقوف، حيث يبرز عند الركبة شكل كرتين).

**تيكولا:** على كل حال، ما رح أقدر أنجح لَمَّنْ كون الوحيد بين أصحابي ما عندي صباط.

بصفنا ما حدا غيري ما عندو...

**موغيس:** (يقاطعه، متمتماً) عقلك يلي شاغلي بالي، مش صباطك.

(صمت مديد)

**تيكولا:** (ناظراً إلى السقف كمن لا يبالي)

بتعرف البنات بالمدرسة شو بسمّوا الصبيان يلي ما عندن صبابيط؟

**موغيس:** (يبدأ بترتيب سريره) ما بدّي أعرف.

**تيكولا:** (متباهياً بنفسه) برأيي... برأيي...

**موغيس:** (مقاطعاً إيّاه) ما تبلّش جملك بـ «برأيي».

**تيكولا:** ليه؟

**موغيس:** هيك عم قلّك.

**تيكولا:** ليه؟

**موغيس:** كل شي بيبدا بـ «برأيي» بحس كأنّو رح يكون نقد سلبي.

**تيكولا:** شو هوّي النقد السلبي؟ شو هوّي؟

**موغيس:** (يوجّه نظرة متأمّلة إلى تيكولا الذي يحدق به. ويتكلّم متجهماً بعض الشيء) انسى الموضوع وخبّرني وين نمت ليلة مبارح.

(صمت مديد)

**تيكولا:** (مستعيناً بكتفه بارز العضلات ليشير إلى حيث ينام آبيي زيرفو): معو هون، وين بتتوقّع إنّو كنت نايم؟ ورّتلّي تختي لشخص تاني وأنا بعدني موجود.

**موغيس:** بعلمي كنت تنام مرتاح عالصوفا؟

**تيكولا:** الصوفا كتير ضيّقة عليي. ما فيّي حتّى مدّ إجريّي عالآخر. (يستلقي على الصوفا) شوف. بتخنقني. وأكتر من هيك، الحديد للي فيها حفر بضهري خطوط سكّة. ما بتريّحني، وما بتخليني اتحرّك، كإنها شبك ومشدود عليي. (يدفع بقدميه إلى الأمام فيما يتمرّغ على الصوفا).

**موغيس:** (ما زال متجهّماً بعض الشيء) بس أنا سألتك وين قضيت ليلة مبارح، من وين جيت؟

(صمت قصير)

**تيكولا:** (بعد قليل من التأفّف، يندفع في كلام متسارع) ليش ما قلتلّو يقوم؟ ليش ما قلتلّو يتركلي تختي؟

وَصّللنا الغَمْ يلّي إجا يخبرنا ياه. شو يلّي مخلّيه هون؟ خَبَّرنا إنو ابن اخت ستّك مات، بْكِينا، وخَبَّرنا إنّو عم مرتي مات بمرض وبائي، بْكِينا، وهلّق يعني صار لازم ننطرو إلو تيموت كمان؟

مش مفروض يروح؟ بيقول: أمعائي عم تنزف من الحزن. طيّب، نحنا مِش خُبرا أحزان.

قلّو إنو ما معك مصاري. قلّو يروح. قِلْنا لحالنا بيضل عمنا ورحّبنا فيه بكل محبّة. سايرناه عشر تيّام. ما بيكفيّه؟ مش مفروض يروح؟ بيقِلْنا: أرض أبوكم صارت غابة. ماشي الحال، دونم هالأرض يلي كان بور بعدو بور.

ليش ما بيروح وبيعتني فيها بنفسو؟ هوي الشخص يلي بيفهم بهالإشيا. قلّو إنو ما معك مصاري. متل ما هيّي، أَنْجأ فينا نأمّن أجار البيت، أجار التخت، الميّ، الكهربا، ووو. لازم يروح.

**موغيس:** (بنبرة مؤنِّبة) ولا شي من يلّي قلتو بجاوب على سؤالي، تيكولا.

**تيكولا:** (تيكولا يكمل الكلام كأنّه لم يسمع) بيقول إنو كلّ أهل الضيعة بيقولولو أنو بيشبه بَيْنا. وإذا؟ شو لازم نعمل إذا بيشبه البابا (أبابا)؟ البابا مات قبل ما إقدر إتعرّف عليه. وبيقولو إنو لمّن إمنا كانت حامل فيّي راح على مايتشيو[5] وما رجع أبداً. ما بعرف إمّي، ماتت قبل ما تقدر تربيني. آمين.

(في الخلفيّة يسمع سعال آتو تيليلا)

وبالنسبة لهيدا، بعتقد إنو بس يصير وقت الأجار بتتحرّك معو السعلة. أجار الشهر الماضي ما اندفع وسمعتو عم بيهدّد بإنو رح يجيب دعم من المنطقة الخامسة وبعدك ما دفعتلّو؟

(موغيس يستلقي على مسند السرير الخلفي فيما يتابع بنبرته المؤنِّبة)

بيقول إنو بَيْنا كان الشخص الوحيد بعيلتنا يلي بيعرف قيمة الأرض. وبيقول إنّو كان أكثر فلّاح محسود بالمنطقة. طيب شو لازم نعمل يعني؟ لاء طيّب عنجد، شو بَدّو يانا نعمل بهالمعلومة؟ بيقول إنّو أصوات السيّارات عم تعملّو كوابيس، طيب ليش ما بيروح؟! قال إنّو كان موجوع، راح على مستشفى سان بول، بيقول إنّو قالولو يرجع تيتعالج من القرحة، صار رايح جايي إلو عشر تيّام، طيب ليش ما تحسّن؟ بيقول إنّو بَيْنا كان بطل بمعركة مايتشيو*، وكان رجال مسيحي حقيقي وبيخاف الله، وفلاح آدمي، وإنّو لازم نعتبرو متلنا الأعلى، بس كيف بيعرف إنّو نحنا مش هيك من الأساس؟ كيف بيعرف!

**موغيس:** (صبره ينفد وصوته يتحوّل تماماً إلى الغضب)

عمْ قلّك خَبِّرني وين نِمتْ ليلة مبارح!!

**تيكولا:**

(حنقه أعظم من تفاجؤه. هو في حالة غيظ شديد. حيرته تجعله ينتفض. يتصرّف كأنّه

---

5 مايتشيو: موقع معركة حدثت بين الأثيوبيين والطليان خلال الحرب الإيطاليّة – الحبشيّة.

سينهض ويذهب. لكنّه سرعان ما يعود ويجلس ويخدش الأرض بكعب حذائه مثل كلب مُعاقَبٍ ومن ثمّ بصوتٍ ينفجر بشهيق كان مكتوماً):

الدّ.. الدّوا معك شي؟

**موغيس:** أي دوا؟

**تيكولا:** البينيسيلين.

**موغيس:** بي... بينيسيلين؟

**تيكولا:** (صارخًا فيما دموعه تنهمر) إيه، بينيسيلين! البنكرياس عمّ بيوجّعني. سألتني وين قضيت ليلة مبارح، مش هيك؟ وين مفكّرني قضيتا! (بعد برهة من الصمت، يبدأ موغيس، مصدوماً، بالبحث في جميع جيوبه. من الجيب الداخلي في سترته يَستَلُّ محفظة بلاستيكيّة. يفتحها ويجدها فارغة. فيعبث بها إلى أن تسقط منها صورة وحيدة. يُعيد المحفظة إلى جيب سترته ويبحث في جيب بنطاله حيث يجد ورقة نقد مطويّة ما هي إلا برْ واحد، يعطيها لتيكولا باستعجال. تيكولا يأخذها بسرعة ويضعها في جيب بنطاله، تبقى قليلًا في قبضته، ثم يخرج بخفّة. موغيس يجلس، يثبت نظره، شارد الذهن).

**موغيس:** (متّكئاً على حافة سريره، خافضاً رأسه ومتمتماً ببطء بينه وبين نفسه) لمّن كنت زغير، وبعد موت بابا، كِلّما كانت إمي تبهدلني، كانت تهدّي صوتا لمن تقول «موغيس». مو— غيس، إذا طلع بوجّك شي يعيقك، روق، ما تجرِّب تحاربو، هيك كانت تقول.

خيّي من النوع يلّي ما بيقدر يعطيك نصيحة، المسخرة هيّي الشي الوحيد يلّي بيعرف يعملو. وهوّي من النوع يلّي ما بيناقش، بس بيستفزّ. تيكولا ما بيقيس مشاعرو من خلال يلّي بيقولوه الناس، بيقيسها بقوّة تصادم السيّارات، بقوّة حوافر الخيل، وزْعيق زمامير الشرطة.

(ينظر إلى الأعلى من حيث يجلس ويتأمّل بالسقف)

هلق هيدا هوّي سبب إيمانو بالتهجّم بدل التفهّم؟ سبب إيمانو بالبينيسيلين بدل مغفرة الله؟ لَمّنْ حدا يقول، «وقّف يا تيكولا»، بِفُور غضبو وكأنّو هالشخص دفشو، ما حذّرو. حتّى إنّو بيزعل وبينجِرج بالتصرّف يلّي عملو. تماماً متل ما خُنفس الضو بيجذبو الضو وبيعلق فيه، هيك خيّي بتحيّرو الإشيا اللمّيعة وبضيّع حالو. (يسمع سعال آتو تيليلا خلفه منبعثاً من البيت)

(صمت للحظات. ينهض عن حافة السرير ويتقدّم إلى وسط الغرفة). قبل ما تتركني تيهوناي، قبل ما تفِلْ مرتي، قبل ما تقرّر إنّي مجنون وتتخلّى عنّي... وقت لكنت عم إشتغل بعرق جبيني، لأنّو بعد ما كان عنّا بيت من لواح تنك، بيكفي إبنّا وبيكفينا... لحدّ هلق مرارتي ما إلها حدود بس بعدني ما فقدت الأمل... هلّق ما عدت عم كافح ليصير عندي بيت، كلّ يلّي عم بعملو هوّي محاولة حتى ما إيأس... صحيح، كلّ طموحي ما عادو إني إبني حالي، أكتر من إنو إتمسّك بالأمل وهيدا كلّ شي. وحتّى لو بتفقع مرارتي بتذَكّر يلي علّمتني ياه إمّي وبقول لحالي، «موغيس خلص».

إيه، وأنا عم بنتبه، وأنا عم علّم حالي، بقول لنفسي.. بقول لحالي إنّو لازم روق! (بنبرة صوت ملؤها المرارة) بس تيكولا رغم هالشي بيقول «النسوان وشغلة البال بكلام الناس بيئذوك إذا بتعطيهم قيمة كبيرة، إذا كلّ ما العالم اسْوَدّ بوجّك، بتفتّش بحالك عن عيوب مش موجودة فيك أصلًا، ببيّن إنّو العالم عم يلعب فيك، والطريقة الوحيدة لتنتصر هيي إنّو تثبت بأرضك وتقاتل». بس أنا قلت لنفسي، قلتلّو، «خلص يا موغيس»، عيّطت عليه تيهدا. يقوا، لحتّى يروق، لحتّى يكون جَدّي، لحتّى يهدا، ويكون مركّز، هيك قلتلّو. حتّى لو بطّلت شايف غير المرارة ما تفقد الأمل، قلتلو. «يا موغيس»، قلتلّو.

(سعال آتو تيليلا صار يعلو أكثر. وكلام موغيس لنفسه يستمرّ على نحو هادئ)

لمّن قلتلّا إنّو اسم إبنّا لازم يكون بِيتنا (فليكن قويًّا)، أصرّت على إنّا ما بتقبل أسامي غير «ديغافاي» (مؤازرتي)، «ميكورياي» (فخري)، «كنداي» (يدي اليمنى). قالتلي،

عديتلّو نجومو واسم «بيتنا» ما ظهر. ولمن قلتلّا: مش أحسن على الأقل نسمّيه «بيتنا» قبل «ديغافاي»؟ بكلّ عِنْد قالت: لاء. وبنفس الليلة لمن قالولي أنت مجنون ونيّموني بمستشفى إيمانويل، هي أخَدِت إبنّا وهرَبِت. بس الحكيم قلّي مرضك هوّي أعصابك. قلّي شرايين دمّك م – مِحْتقني، م – مِلْتهبي، م – محتقني. لمن رجعت عالبيت تاني يوم، ابني وتيهوناي ما كانوا هونيك. وحتّى ما فتّش عليها، وحتّى ما إبعت حدا من قِبَلِي يفتّش عليها، اتَصَلِت بدير وخلّتهم يحرموني رسميًّا من إنّو قوم بأي شي. الجيران دارولي ضهرن، الولاد صاروا يأشروا عليّي بالإصبع، الصحاب صاروا يحكوا عنّي بقفا ضهري، لحتّى حبست حالي بغرفتي، إجرح الأرض، عانق الحيطان، إدفن صوتي، وإبكي بمرارة. وحدو تيكولا وقف حدّي. حسّيت إنو حتّى الله تخلّا عنّي. حسّيت حالي مكشوف. بس تيكولا قال «ما شي الحال يا غاشاي»[6] ومع هيدا، من هداك الوقت لهلّأ، كانت روحو ملسوعة أكتر من روحي برغبة التار، وصار، أكتر منّي حتى، يخاف من الناس، ويتجنّبن. قال إنّو الناس وحوش شرسة وتحوّل هوّي لوحش متلن. تـ – تيكولا... (يستيقظ من غيبوبته عندما يطلق المعملُ في منطقتهم صوتَ المنبّه الكهربائي معلناً الساعة التاسعة صباحاً. عندما ينظر إلى ساعته المعلّقة، يلاحظ أنّها توقّفت. يُسَوّي قميصه المجعّد، ويلقي نظرة سريعة على نفسه في المرآة المعلّقة فوق سريره، ويسرع إلى الباب. ينظر إلى السرير حيث ينام زيرفو وبهدوء يكشف وجهه المُغطّى بالملاءة) آبيي، آبيي، فيق، فيق، الوقت تأخّر. في ترويقة صغيرة إلك على الطاولة. فيق، الوقت تأخّر.

(يغادر مسرعاً. فيما زيرفو يستيقظ مصدراً الكثير من الزفير والتثاؤب والتمطّي، يسمع في الخلفيّة الهدير المتعالي لمحركات السيّارات وسعال تيليلا).

**زيرفو:** (يتناول آبيي زيرفو سرواله القصير المعلّق في أعلى السرير ويرتديه فيما لا يزال تحت الغطاء. ويتلو، بحسب ما اعتاد، بعضاً من الصلوات التي حفظها. ويتشكّى، متمتماً مصلياً): ثبّتني بالحق، ثبّتني بالحق، ثبّتني بالحق، يا رب، يا رب، ما تخلّينا ننام جوعانين،

**6** غاشاي هو تعبير للاحترام عند التكلّم مع شخص من أفراد العائلة الأكبر عمرًا، مثل عمٍّ أو خال.

بعتلنا السلام، ثبّتنا بالحق، باسم ابن الله، بحق الروح القدس، أنت أعلم العالمين، أنت أعلم العالمين، أنت أعلم العالمين (... هازّاً رأسه متثائباً، ثمّ متشكّيًا بحزن) شو هل الكابوس، شو هل الكابوس، هيك راسي بدو يضل على طول مشغول بالكوابيس؟ هالشي مش ممكن يتسمّى نوم. من السيارات، للزمامير، لأصوات الناس، لأصوات البارات، والإشيا يلي ما بتخلص، كوابيس كتيرة، كوابيس ما بتنعدّ، الواحد مش ممكن يسمّي هالشي نوم.

(مؤدّيًا حركات رياضيّة، ومرتدياً قميصاً ضيقاً بأكمام طويلة، يعود إلى نبرة الصلاة): أنت أعلم العالمين، أنت أعلم العالمين، أنت، الرب خالق الأرض والسموات بلا عمد ترفعها، سماع صلاتنا، سماع صلاتنا، ربّ نينوى، ربّ نيبيليساي وسابا، وباليام، سماع صلاتنا، سماع صلاتنا، سماع صلاتنا، الرب يلي خلّص أيوب من بطن الحوت، ودانييل من عرين الأسود، وطلّع أليعازر من القبر، اغفرلنا، اغفرلنا، اغفرلنا، يا ابن الله، اغفرلنا يا مسيح، اغفرلنا يا مخلّص العالم، اغفرلنا، اغفرلنا.

(يبصق في راحتيّ يديه، يفرك وجهه بيديه، ويتمطّى، ينهض من سريره، يطرح الغابي[7] عن كتفيه، متقدّماً خطوة إلى الأمام، وفجأة يضع يديه على معدته ويقف كأنّه تلقّى طعنة. وبعد هنيهة، عندما يستعيد أنفاسه، يتكلّم بمرارة):

يا مسيح، خَلَصْ، خَلَصْ هلّق! خَلَصْ، يا ابن مريم، خَلَصْ هلّق! حاجة تعذّب هالجسد! وقّف عادتك بضرب الناس بالقرحة! عم قلّك خَلَصْ يا ابن مريم. من وين جبتلّي هالوجع يلّي بعقّد المصران وبغرّقني بالعرق!

(ينحني بتثاقل ويتناول القنينة التي اغتسل منها موغيس، وبشراهة يمعن النظر في الماء القليل الباقي بقعرها):

هيدا ما بيكفي لغرغر تمّي، مش مهم غسّل إيديي. آخ من حياة المدينة! هيدي حياة هيدي؟!

7 ثوب شيفون مصنوع يدويًا وله أربع طبقات، يُرتدى فوق الكتفين والجزء العلوي من الجسد، كما يُستخدم أحيانًا كغطاء.

(بعد ترطيب يديه قليلاً وفرك عينيه بإصبعين من أصابعه، يرتشف المياه الباقية ويمضمض فمه مرّتين، باصقاً المياه في أسفل الجدار وقائلاً باستهزاء): هلق عنجد هيدي حياة؟

(بعد أن يعيد القنينة إلى موضعها ويعاود الوقوف، يمسك معدته بيديه متألّماً ويبقى على هذه الحال. يستعيد أنفاسه على الفور، ويقول بمرارة): يا ابن مريم خَلَصْ، خَلَصْ. وقّف معاملتك إلي بهالسوء. ما تختبرني وتحبسني هون..

(يتثاءب، فيما طرف ثوب الغابي الذي ينسدل على كتفيه يلامس الأرض، يتوجّه نحو الطاولة حيث قطعة الخبز الملفوفة بالورق، فيتناولها، وبسرعة يتصرّف كأنّه سيأخذ قطعة خبز ويأكلها، بخوف وتردّد، لكنّه يُرجع يده وبنبرة ملؤها الشكّ يردد): معقول هلق يكون وقت صيام! بيقولوا أنو بيخبزوه مع بيض.

(نسمع سعال تيليلا. يرفع زيرفو صوته بعبارة تحيّة). كيف كانت نومتك؟ الله يشفيك ويرزقك برحمتو! (خافضاً صوته): بعتقد إنّو ما سمعني. (ينظر إلى الخبز بعينين فارغتين لكنّه بعد ذلك يستجمع قواه ويندفع نحو الطاولة) كأنو هالشي رح يخلّيني ارتكب خطيّة! بقولوا إنّو بيخبزوه مع بيض! (يتحرّك نحو السرير ساخطاً ويسحب من تحت اللحاف علبة رصاص وحزام رصاص يبدو مهترئاً وعتيقاً) عنجد بقدر سمّي هالشي حياة؟ أرض بيّون الساحرة بلعتها الغابات! ولادو بلعتن بنايات المدينة المتيبسة! هلق عنجد، معقول هيدي تكون الحياة يلي الله بيحبّا؟ (يتناول عن الأرض كشّاشة البرغش المصنوعة من ذيل حصان والتي كانت قد سقطت قرب سريره عندما أراد أن يقف مجدّداً) عم ترفضني يا ربّي؟ عم ترفضني يا ابن مريم؟ كل يوم بروح على مستشفى السان بول وبِتْشَكْوَك بالأبر. وفوق كل هيدا، الحبوب يلّي لازم آخدها، أنواعها، ألوانها، كمّياتها، أعدادها المحدّدة! آخ! خَلَصْ، يا ابن مريم خَلَصْ. (يضع كشّاشة البرغش عند الطرف الأمامي لسريره. وبعد أن يمدّ برنسه[8] على سريره ويرتّبه، يستلقي متكوّراً على نفسه،

**8** رداء خفيف من قماش وشاش خيطا معًا في قطعة واحدة، يرتديه الأثيوبيون الريفيون.

وبصوت خفيض أعياه التعب والنعاس يردد): إفففففف[9]... يا مسيح ليش ما بتبطّل تحاول تخلُصْ منّي بقرحة هالمَصَارين هاي؟ ليش ما بتفك أسري وبتبطل تجربني يا رب؟ ليش ما بتوقّف محاولات قتلي بهالغضب للي بيوجّع، يا ابن مريم. القوايا كانوا يموتوا بالرصاص، ليش نسيتني كل هالفترة وبعدها اخترتلّي هالقدر بدل الرصاص؟ (يُسمع سعال تيليلا. بَرِماً، يتمدّد على السرير. وبعد برهة صمت، يطل تيكولا فاتحاً الباب ويدخل...)

**تيكولا:** (واقفاً عند طرف سرير زيرفو، متكلّماً بصوت عالٍ): آبيي زيرفو! آبيي زيرفو! (زيرفو يستيقظ مرعوباً، ويستعين بذراعه الأيمن كي يتكّئ على وسادته) صار وقت الإبرة، روح عالمستشفى لتاخد العلاج.

**زيرفو:** (بعد استيقاظه المفاجئ) إيه؟

**تيكولا:** صار وقت إبرتك، عم قلّك قوم وروح!

**زيرفو:** (كأنّه يحاول إظهار أنّه فهم) إمممم...

**تيكولا:** (يتوجّه إلى قنينة الماء ويتناولها وعندما يلاحظ أنّ الماء الذي فيها لا يكفيه كي يبلع حبوبه، يلقيها على الأرض ويأخذ الحبوب بلا ماء. ويستدير نحو زيرفو) شو فيّقتك؟ (آخذاً وقته) يوم السبت الأسبوع الماضي كنت بسينما «أدوا»[10]

**زيرفو:** (لم يفهم) وين؟

**تيكولا:** بـ «أدوا»! شو الهيئة ما بتعرف شي عن السينما! ... البطل كان مسطّح متلك وعم يرتاح. إلفيس لعب دور البطولة! وبـ «أدوا» الأسبوع الماضي ما كان معو غيتارو. بدل الغيتار كان معو فردين «كولت» على يمينو وعلى يسارو. عدوّه ما شافو. (وهو يتذكّر،

---

**9** تعبير يشير إلى الاستلقاء للراحة، بعد يوم طويل من العمل مثلًا، تعود إلى البيت وتستلقي على مقعد مريح وتطلق صوتًا من القلب: «إفففففف!»

**10** صالة سينما اسمها يستذكر اسم منطقة شهدت معركة تاريخيّة بين الأثيوبيين والإيطاليين

راح يقلّد ما شاهد على نحو ملؤه الحماسة) عدوّه كان ريكاردو مونتالبان. هالزلمة ولا مرّة حبيتو، كل ما شوفو بيحرقصني. خلّاني حسّ بالقرف شي إنّو طَلّ من الشبّاك! حتّى قبل هيك حسيت بنفور منّو. لمن طلّ وفات، إلفيس طفّا الأضويي وفورًا راح عالتخت. كان عدوّه محشّش. حسّ بالخوف. فقد شجاعتو. بلّش يرجف. ولمن اندفع بعصبيّة، رافع الفرد، صار يُخْبُط بالطاولة والكرسي. وكل ما يسمع صوت كان يتفركش، وبعدها يقوّص، كان يرجف وبعدها يقوّص، حتّى بالآخر بطّل معو رصاص. وفجأة بَطَلْنا ضَوّا الأُضُويي! وين بدو يروح الحقير؟ ولمن إلفيس شافو واقف هونيك وتمّو مفتوح، سحب الفرد المعلّق على خصرو اليسار ورماه لريكاردو. قلّو تَيْلِمّو! وهو متوتّر، متردّد، عم يرجف، انحنى ريكاردو تيلمّو. وإلفيس إيديه على خصرو، نطرو بكل احترام. سبق وقلّو لمّو! وشي لمّ الفرد وبرمو، تيجرّب يصوّب ويقوّصو، سحب إلفيس الفرد يلّي على خصرو اليمين، بلمح البرق، وقوّصو وصبلو إيدو، وخلاه يوقّع الفرد! وهوّي عم يرجف وينزل منّو الدم، ضبّ إلفيس فردو ورجّعو على خصرو اليسار، وقلّو «اعترف». خلّا ريكاردو يعترف، خلاه يثرثر، ويفقع، ولمن اكتفى، وشبع مسخرة عليه، تطلّع فيه إلفيس وعيونو عم تلمع ودار ضهرو وراح وتركو. وبشارطك إنّو لمن وَطّى تيلمّ الفرد عن الأرض، شاف إلفيس خيالو، دار بسرعة، وقوّصو رصاصة ورا التانية، بجبينو، وبصدرو، حتّى بالآخر قَلَب على وجّو. ولمن وقف فوق جثتو، انحنى شوي شوي وعلى مهلو أخد الفرد يلي كان واقِعْ والفرد يلّي بإيدو، وبعد ما برمهن على صابيعو متل خيطان القطن، رجّعهن برواق على خصرو اليمين واليسار. وشوي شوي، هوّي وعم يصفّر ويبتسم، ضهر... وبعدها طبع بوسة المنتصر على معدن الفرد الحلو، ورِكِبْ على حصانو وانطلق.

**زيرفو:** (ما زال غير فاهم لما يحصل) يعني مين هيدا؟ كفّي.

**تيكولا:** (بغضب) إلفيس! ... بلمرّة ما بتفهم بالسينما؟ (وبعد صمت قصير، كأنّه يمزح) فيّقتك من النوم؟

**زيرفو:** إيه؟

**تيكولا:** فيقتك من النوم أو لاء؟

**زيرفو:** (بسماحة) أوه، ما في شي، ما تعتل هم.

**تيكولا:** (انتقل على الفور إلى مزاج الاستهزاء) ما تعتل هم، ما تعتل هم، ما – ممم – ممم – ممم - ممم. ما تعتل هم ما – ممم – ممم – ممم – ممم . ما في شي ما بيقدر الشخص يعملو، ها ها ها ها ها! ما في شي ما بيقدر الشخص يعملو، ترا – را – را – را – رم!

**زيرفو:** خيّك قضى الليل كلّو عم يتحزر وين معقول تكون ومشغول بالو عليك!

**تيكولا:** (بمزاج مرح) عنجد؟ ... تا - را – را – را – رم – تا – تم – ترا – را!

**زيرفو:** عنجد. (يضع يده عليه لائماً) خبّرني، شو كانت هالحبّة يلّي أخدتها قبل؟

**تيكولا:** بسمّوها دوا لوجع الراس، ما بتفيدك للقرحة... غسّلت وجّك؟ تا – را – را – رم، تا – را – را!

**زيرفو:** إيه، طيّب، لازم تسمع شو بيقولولك.

**تيكولا:** تروّقت؟ (يتوقّف عن الرقص وعن دندنة لحن أغنيته، يتناول الخبز ويأخذ قضمة)

**زيرفو:** آه لاء، ما كان عبالي. (بعد صمت قصير) وعلى كل حال، هيدا ممكن يكون من الخبز يلي بيخبزوه بالبيض. شو فيّي قلّك!

**تيكولا:** إيه، شو فيّي قلّك، شو فيّي قلّك، شو فيّي قلك. (يتكلّم بسرعة على نحو هازئ) البيض، الزيت، الدسم، العرق، الوسخ، شو فيّي قلّك، شو فيّي قلّك! مَنّا وصفة طبّاخ عبقري! منّا خَبزة طبّاخ عبقري! وفوق هيدا وكلّو، الخبز، الكعك، وخبز المرقوق، المعكروني، والباستا، والأَثْمِيْت (ثريد رقيق للأكل) كلّون انعرضوا وانْشَروا من السوق. من

وقت ما نجابوا من السوق لوقت ما وصلوا، الطباخ العبقرى ما لمسهن! الحبوب، النبت يلي بينمى من البزور يلّي نثرتها العصافير، بيطلعوا من الأرض، بيتحوّلوا لطحين، بينخبزوا، وبيصيروا فتّة (ثريد، عصيدة)! آه، شو فيّي خبرك! (خافضاً صوته، ويلتفت على نحو مفاجئ إلى زيرفو) عجبتك فرشتي؟

**زيرفو:** إه؟

**تيكولا:** عجبتك فرشتي؟!

**زيرفو:** (مفكّراً) إمممممم... إيه، إيه، كنت مرتاح، فعلاً فرشة غير شكل... بس بتعرف، قلتلّو لخيّك إنو – هاي شو بتقولولها – الكرسي يلّي إلها إيدين تمام وبتكفّيني.

**تيكولا:** (يعترض بنبرة مهذّبة ومستهزئة) هيدا الشي مش مقبول! شو! ليش حتّى نعمل هيك! هيدا شي ما بينعمل! لمّا بكون أنا، إبنك، هون؟ ما تخلّي دينة الشيطان تسمع هيك شي! ما بتعرف إنّو أنا ابنك! مش بيقولوا إنّو «ابن الأخ، حتّى لو ما كنت بيّو، هوّي ابنك»؟ ممكن تاخد إنت التخت وأنا بنام على الكرسي. غير هيك بيكون خطيئة! كيف ممكن نعمل هالشي؟ شو ممكن يكون أسوء من هيك! ... عم تتعوّد على ضجّة السيّارات؟

**زيرفو:** إه؟

**تيكولا:** عم تتعوّد على الضجّة؟!

**زيرفو:** ما عم تزعجنّي. ماشي الحال، ما عم تزعجني أبداً.

**تيكولا:** إيه، ما بتزعج أبداً، الواحد فيه يتعوّد عليها. ما في شي الواحد مش ممكن يتعوّد عليه. (يُخرج عقب سيكارة من جيب قميصه، يشعلها بعود ثقاب، وفيما يدخّنها) كنت بضَيْفَك سيكارة بس بعدك مش معوّد عليها! (برهة صمت. ينظران إلى بعضهما البعض من الأسفل إلى الأعلى. يخفض زيرفو رأسه بعد تحديقه). شو، في شي كان بدّك تخبّرني

ياه؟ ...إيه؟

**زيرفو:** (متردِّداً) آه لاء، ما في شي أبداً.

**تيكولا:** أوه؟ ...

**زيرفو:** كان في شي بس هلّأ نسيتو.

**تيكولا:** أنت كمان بتنسى؟ كنت مفكّر إنّو خيّي وحدو يلّي بينسى الإشيا. مشكلة خيّي هيي كيف بينسى الإشيا. سامع بشي مرض إسمو الأعصاب؟ بيقولوا إنّو سببو تشنّج الشرايين. لمن بتتشنّج خلايا دمّك، راسك كمان بيتشنّج، ولمن بيتشنّج راسك، عقلك بيتشنّج كمان، ولمن بيتشنّج عقلك بتصير تجن شوي، ولمن بتجن شوي... الوضع بصير سيّئ. خيّي كان مجنون. كان وبعدو. بين كل فترة وفترة بيصير معو كريزا قويّة. مرّة لمن أستاذ ضربني، سألني، ليش دافعت عن حالك؟ لمّن طردوني من المدرسة، سألني، ليش تركت المدرسة؟ من وقت ما مرتو أخدت إبنها وتركتو، تغيّر كتير. هَرَبِتْ وصارت خادمة ببيت دعارة. وبيقولوا إنّو إختنا هيّي يلّي دبّرتلها هالشغل. ليش، لأنّو أختنا قضت عمرها عاهرة وكبرت مع هالشغلة. بس أحوالها مش كثير منيحة... هيداك يوم رُحت حتّى تتدّين مصاري منها لتدفع أجرة علاجك وردّتك فاضي، مش هيك؟ ومَرْتْ خيّي تقريباً متلها. مش كمان رحت لعندها وقلتلها إنكن عيلة وحدة؟ وكمان دارتلك ضهرا. ما في حدا إلّا وبيردّك خايب! ما شي الحال، حتّى إنّو ما بيقدر يقرّب منها. بالقانون وبالدين حرّمت عليه يقرِّب من مطرح ما هيّي عايشة. بس بعدو بيروح بالسرّ تيشوفها ويشوف إبنو. ومع هيك، تغيّر كتير. (يخفض صوته وعلى نحو مفاجئ، يلتفت إلى زيرفو) أيمتين رح تروح؟

**زيرفو:** روح لوين؟ ... المستشفى؟

**تيكولا:** (يستشيط غضباً) لوين بتروح غير عالمستشفى! (صمت للحظات. ينظر زيرفو إليه لكن عندما تلتقي أعينهما، يعاودان النظر إلى الأسفل) شو، في شي بدّك تخبّرني ياه؟

**زيرفو:** (متردّداً) آه لاء، ما في شي أبداً...

**تيكولا:** أوه؟

**زيرفو:** فكّرت بشي بس هلّأ نسيتو.

**تيكولا:** (منتقلاً بسرعة إلى الحديث عن أخيه ومنتفضاً، يتكلّم على نحوٍ سريع): سبق وخبّرتك إنّو مشكلة خيّي كمان هي كيف بينسى الإشيا. ذاكرتو عم تنقص وتنقص، كأنّو شي حرامي عم يسرقها وما رح يخلّي منها شي. (عندما يلتفت يلمح الصورة التي سقطت من محفظة موغيس ويذهب ليلتقطها. وينظر إليها) مثلًا هاي الصورة يلّي طارت من جزدانو، من جيبة كبّوتو الجوّانيّة، ما كان ينساها أبداً من قبل. بس هلأ ليك، وقّعها وتركها وراه. ما سبق وتخلّى عنها من قبل. هاي صورة إبنو. وبيقولولي حتّى لمّن بيكون بالشغل، بيطلّعها وما برجّعها إلّا بعد ما يكون مضّى وقت وهو عم يطلّع فيها. وأحياناً لمّن بيكون بالتخت، بيقضي الليل كلّو حامل الصورة وعم بيواسيها متل كأنها شي مخلوق. إذا سمعتو عم يحكي مع قطعة ورق، فيك ما تقول إنّو مش مغيّر؟ (عندما يمدّ زيرفو يده، يرمي تيكولا الصورة على السرير كي يلتقطها، ويبقى متململاً ويكمل كلامه). غالباً بيكون هلّأ نازل تفتيش بين الوراق بمكتبو، تيحاول يلاقي هالصورة. أنا خيّو وما قدر يربّيني، ورغم هالشي راح جاب ولد تاني ومسكين صارت هلّأ حالته تعيسة. وفوق كل هالشي.. بدّو ياني إمشي مفشكل لابس هالصباط المفَخْوَت.

**زيرفو:** (بعد أن قرّب صورة الطفل مندهشاً بها) اسم الله! اسم الله! اسم الله! (يعود تيكولا وينظر إليه، مستوضحًا ما وجد) هيدا ولد! هيدا ولد! (يبصق على الصورة[11]) الله يعيشك ويطولك! طالع كإنّو بَيّك، شفت! طالع بيشبه بيّو لموغيس بالصورة يلّي عم بتفّ فيها، مش هيك؟

---

**11** بعض البصقات الصغيرة يقصد بها البركة، فإذا كان أحدهم مثلًا سينطلق في رحلة خطرة، فإنّ أهله يبصقون عليه بسرعة كي يُحيطوه بالبركة ودعاءً له باجتياز كلّ الصعوبات.

**تيكولا:** (بعد صمت قليل، وبنبرة ممازحة) والله؟

**زيرفو:** شايف رموشو كيف نازلين؟ وجّو كيف عم يبتسم؟ كإنّو بيّك قام من الموت.

**تيكولا:** (باستهزاء) آها؟

**زيرفو:** وكيف! (ينظر إلى الصورة مرّة أخرى) وكيف! (ويغرق على الفور في حلم يقظة) بيّك كان رجال عظيم. وكان كمان فلاح بتحسدو المنطقة كلّها. كان بيّك فلاح ممتاز، بيحبّ الزراعة وقطف المواسم والحصاد. وفوق هيدا كلّو، كان محارب بينتصر على كل المحاربين، بطل ولا كلّ الأبطال. لمّن كان يقول «مين أنت، لمّن أنا، بكون خادم الإمبراطور»، والعبسة فوق جبينو، بتصيبك الرجفة وبتتمنّى تنشقّ الأرض وتبلعك. وحتّى قبل ما إضعف كتير، من يوم ما كنت أَنْصَح، كانت بعدها قامتو أضخم من قامتي، ورغم إنّو كتافو كانوا متل كتافك، بس كان فيهن عَظَمة. لمّن الأمبراطور مينيليك كان عم يستعد للانطلاق للحرب بـ «أدوا» وعطى تعليماتو، بيقولوا، «اقرعوا الطبول! احزموا أغراضكم! حمّلوا حميركم بالمؤن! أقلِعوا عن عاداتكم السيئة!» – بهيداك الوقت كنت شي إنّي مفطوم عن الرضاعة، كان هوّي بعدو صغير على النسوان – وبذكر كمان متل كإنّو بحلم، كيف خيّي طلب يروح عالحرب مع بيّنا. وبوقت معركة مايتشو، كنّا صرنا جاهزين لناخذ دورنا. مشينا على صوت حافر الحمار، على يمين ويسار بيّنا، أنا حامل سلاح آبابا، وهوّي حامل سيف سرقو من المقلع. وحتّى على أرض المعركة لمّن كنت غرقان بالخوف، كان عم يندە: «الشجاعة يا ابن أمّي!» وبالآخر مات قدّام بيّي لمّن اقتحم المعركة متل النمر.

**تيكولا:** (متناولًا كشّاشة البرغش المصنوعة من ذيل الحصان، يرمي بنفسه على الفراش، ملتفّاً في أسفل السرير، وملوّحاً بالكشاشة هازئاً، وناظراً إلى زيرفو، ليقول كمن يطلق نكتة) ليش جيت لهون؟ ... أوه لحظة، وَلا يْهِمَّكْ، نْسيت، متل ما نسيت من قبل. جيت حتّى تقلنا إنو في حدا مات.

**زيرفو:** (متابعاً كلامه كأنّه لم يسمع) بيّك كان بطل. وحتّى قبل، بوقت السلم، كان فلاح

آدمي بيخاف الله. كان يفيق من النوم قبل ما يضهروا الدجاجات من القن، ويكون عم بيصفّر قبل ما العصافير تبلّش تزقزق، كان يجهّز ويسوق التيران، تيفلح الأرض ويمهدها قبل ما تطلع الشمس. لسعات كرباج بيّك كانت المنبّه يلي كان يفيق عليه كلّ الفلاحين. بتزكر ما كان يبقى بالمخازن مطرح نحط فيه حبوب، ولا شبر بالأرض ينزرع فيه، ولا حتى محل بالاسطبل لأحصنة وماشية زايدة. الإنجيرا[12] مْمَلّايِة سلال الميسوب[13]، والخواريف والماعز معباية الحظائر.. هيدا بيّك...

**تيكولا:** (مقاطعاً إيّاه، وطاوياً شفته الماكرة إلى جهة واحدة، ومتحدثاً باستهزاء) انسا هالموضوع هللق وقلّي، إيمتى رح تروح؟

**زيرفو:** (مأخوذاً بالمفاجأة) إيه؟ (محاولاً رفع نظره، يُصاب بنوبة ألم تجعله يُمسك معدته بكلتي يديه ويتأوّه

**تيكولا:** (ينهض غاضباً وينظر إليه، ويقول بصوتٍ عالٍ) إيمتى رح تروح!

(تنطفئ أضواء المسرح بسرعة).

## المشهد 2

مرّت دقيقتان. وبينما تعود الأضواء على مهل، نسمع سعال تيليلا. لم يغيّر تيكولا وزيرفو موقعيهما منذ أن انتهى المشهد الأوّل. يدخل موغيس.

**موغيس:** (دون أن يرى تيكولا) رجعت لأنّي ضيّعت غرض، آبيي، معقول تركتو هون؟ (عندما يلاحظ كيف يقف الاثنان، يلتفت إليهما) شو بكن؟ (ينهض تيكولا من السرير

---

**12** نوع من خبز المرقوق يؤكل مع كل شيء.

**13** سلّة تقليديّة يُحمل فيها الطعام ويُنقل.

ويغادر البيت بسرعة دون أن يلتفت وراءه)

**زيرفو:** (كان يسوّي الصورة ببطنه، ثم أخذها بيده) معقول يكون هيدا الغرض الضايع؟

**موغيس:** (يأخذ الصورة بسرعة وينظر إليها) هيدا هوّي. (بعد صمت قليل، وبفرح) شو كنت عم بعمل توقّعتها هيك؟ (بانتباه يعيدها إلى محفظته) كنت ضايع كتير بالشغل حتّى بالآخر أخدت استراحة زغيرة وجيت عالبيت.

**زيرفو:** (متردّداً وعلى نحو عصبيّ) موغيسي[14]!!

معقول لاقي معك شي برّين[15] ثلاثة؟

**موغيس:** لاء ما معي. عطيت القليل يلي كان معي لتيكولا من شوي. بعتقد لمّن وقّعت الصورة. ليه، في شي؟

**زيرفو:** إيه في، بدي ياهن حتّى ادفعن للحكيم. كتبلي وصفة لاشتري حبوب دوا ... بعدني ما ردّيتلّك يلي أخدّتن آخر مرّة.

**موغيس:** آه مش مشكلة، ماشي الحال، فيك تردّلي ياهن على مهلك. (صمت قصير. يمكن سماع سعال تيليلا. موغيس يتكلّم ببطء كأنّه متردّدٌ) كنت بدّي إسألك عن شي، آبيي... (صمت قصير)

**زيرفو:** (كأنّه يتذكّر بسعادة شيئاً جميلاً) كنت عارف موغيسيي! (طريقة أخرى للفظ الاسم تودّدًا) بعرف شو هوّي هالخبر السعيد يلي كنت بدّك تخبّرني ياه. وإذا هوّي الشي يلّي ببالي، بتكون بركة ابن مريم فعلاً حلّت عليك! بيكون عن جد باركك ابن الله! (وفيما يتحرّك زيرفو مقترباً أكثر من موغيس، يدير الأخير ظهره له. يبقى زيرفو في مكانه).

**موغيس:** (بعد لحظات، وبفتور) لاء منّو خبر منيح. إذا مفكّر رح قلّك إنّي تخلّيت عن

---

**14** اسم موغيس يلفظ هكذا تودّدًا، ويعني «موغيس خاصتي – الذي لي.

**15** بر: هو العملة الأثيوبيّة

حياة المدينة ورح إرجع على أرض بَيّنا وصير فلّاح، يعني بتكون غلطان... ليش إذا بقلّك إنّي رايح على الضيعة حتى صير فلاح، بِيكون هالشي بْيِعني إنّي عرفت شو بدّي. (زيرفو خائباً، يعود إلى السرير ويجلس. وبعد صمت قليل، يكمل موغيس) آبيي، أنا والناس يلي متلي ما منعرف شو بدنا. نحنا، ولاد هالجيل، ما عنّا أُسُس، وما عملنا إلّا شي قليل، نحنا العشب يلّي لازم ينقبع من الحقل، نحنا الزرع يلي ما بيحمل إلّا الشر. إنت بتعرف شو بدّك، وإذا بتعرف شو بدّك إنت محظوظ. أنا نسيت من وين جيت، وما قادر شوف وين أنا هلّأ ولا حتى لوين رايح. هيدا هوّي يلّي بيسمّوه لعنة. معلّمي يا آبيي، هوّي زلمة ختيار وآدمي. أحياناً لمّن بيحكيلي عن مشاكلو كإني صاحبو، بيقول: «وهيك يا موغيسايي، عم خبّرك هالأمور على أمل إنّك تتعلّم من مشاكل حياتي». مبارح بالليل، سألني، «بدّي إتزوّج خادمتي يا موغيس، شو رأيك؟» قلّي، «تعبت من شحادة الفتافيت يلي بتبقى ورا الناس». وقلّي، «سألت قرايبيني ودبّرولي مرا ما في متلا بتنظيم البيت». مبارح أخدني على بيتو عالغدا حتّى آخذ فكرة عن عبقريتها بشغل البيت ودوّقني صحن «الدورو ويت» يلّي بتعملو (طبق من دجاج وبيض مسلوق) و«المينشت حبش» (طبق من لحم البقر المفروم). وشي ذقت كاس «التيلا» (نوع من الكحول مشابه للبيرة) من شغل إيديها، بلش يزخّني العرق من ظهري. ولمّن قدّمتلنا كل شي، انسحبت بسرعة لمخبأها، وخبّت مشاعرها.... ما كان عارف إنّو خادمتو هيّي تيهوناي. ما كان عارف إنها كانت مرتي. لمّا رجعنا على المكتب بعد الغدا، قلي ونحنا عالطريق، «شو رأيك يا موغيساي».

(بعد لحظات)

شو لازم قِلّو يا آبيي؟

**زيرفو:** (ينتفض غاضباً، غضباً مريراً) قَوْصو! ... شو ناطر؟ هالشي مش ممكن يصير ببيتنا. بهالحالة «لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى، لمن حدا بيقرّب صوب إرث بيّك أو صوب مرتك»، هيك تمامًا بيقول المثل! قَوْصو!!

**موغيس:** (كما لو أنّه سمع ولم يستوعب، يتحرّك إلى يسار مقدّمة المسرح ويكمل كلامه بنبرة أبطأ وأكثر تأمّلاً) معلّمي وظّف خوري متعلّم وصاروا كلّ الشباب بمنطقتنا يجتمعوا عند الطرف الخلفي لبيتنا وياخدوا دروس. لمحت ابني بوسط هالمجموعة. كان اللوح محطوط بالوج وشفت ابني عم يخطّط عليه كل حرف (من أحرف اللغة الأمهريّة) بريشة من عشب، وعم بيهجّيهن واحد واحد: «أ – بو – جي – دا». (صمت قليل). لكن هوّي ما شافني. وحتّى لو شافني، ما كان رح يتذكّرني. كان بعدو صغير لمن تيهوناي أخِدْتو وراحت. قلّي معلْمي، «اسم ابنها ديغافاي، وأحياناً بتناديه بيتنا». وقال إنّها خبّرتو «إنّها حلفت يمين ما بتلفظ اسم بيّو، بس بعتقد إنّها ما بتعرف مين بيكون هالأب». قلّي، «كم اسم أب يا موغيساي بتتوقّع هالشراميط بيتذكّروا؟» وضحك. «ورغم هالشي أنا بحسّ بهالطفل» هيك قلّي. وقال كمان إنّو قلبو بينكسر لمّن بيجي عالمكتب وبيصير يلفّ حواليه، وبناديه آبايي (طريقة محبّبة لمناداة آبابا) (صمت) ... شو رأيك يا آبيي؟

**زيرفو:** (بمرارة كبيرة) الموت! الموت بيكون أرحم حَلّ!

**موغيس:** (بعد برهة صمت، يعود ويتابع كلامه، غارقاً في أفكاره، كأنّه سمع ولم يستوعب) آبيي، تيهوناي بعتت أبونا الروحي تيجي على المكتب اليوم الصبح. وقلّي، «بتقلّك، بدّك تخلّي إبنك بلا علم ويخسر كل شي عندو متل ما إنت عملت، ولا بدّك ياني إتخلّى عن ارتباطي المريح وإرجع لحياة الدعارة، أوعى تفكر توجّه وجك صوب بيتي أو تقرّب على بابي». وهيك مْسِكت بإيدي صليبو يلي معلقو، وحلفت يمين إنّي ما رح إرجع شوفها أبداً، وراح. (لحظة صمت) آبيي، إبني تعوّد على التياب والصبابيط يلّي ما بيقدر واحد متلي يشتريلو ياها. تعوّد على الألعاب، والبسكليتات يلّي مش قدرتي اشتريهن. صار معوّد ياكل الأكل يلّي ما بقدر أنا اشتريه! آبيي...

**زيرفو:** بحياة الله يا ابني، حاجي تعيطلي آبيي! (بنبرة ذهول) النار ما بتولّد إلا الرماد! النار بتولّد الرماد وبس[16]! بدل ما تاكل من وليمة جنازتك وإنت بعدك عايش، ليش ما

**16** تعني أن الشخص العظيم يمكن أن ينجب شخصاً ضعيفاً، عديم الفائدة، ولا يرقى لعظمة أهله.

بترجّع مرتك وإبنك وبتاخذ ورتة بيّك! إنت إبن رجال عظيم بتعرف هالشي! إنت رجال، صحيح أو لاء! ... يلّا بقى! إصحى قبل ما تصير عضام بيّك شوك وتغزّ فيك! إنت مش رجال؟

**موغيس:** (لا يجيب على الفور، يتحرّك من وسط المسرح متقدّماً نحو الجمهور) شو قصدك بالضبط بكلمة رجّال يا آبيي؟ أنا ما بفهم شو يعني إنّو يكون الواحد رجّال. هل يعني إنّك تكون متل حشرة بتطير بنص النار؟ نحنا ولاد هالإيام، يا آبيي، مندفن مشاعرنا بآمالنا، متل السلاحف والحلزونات، وهيك منجرجر حالنا من وقت للتاني. ولمّن إنتو آباءنا بتحكولنا القصص، بالعادة بتقولوا، «يلّي بيقول إنّو حياتو مكسورة، هوّي يلي أكل القايل إنّو حياتو مدفونة». إيه يا آبيي، فخرنا الوحيد هو بإنو إذا الواحد منّا قال إنو هالميّ مش غميقة ورمى حالو فيها، بتجي الريح لتخنق هالشخص وتقتلو. متل ما سبق وقلتلّك، أنا ويلّي متلي، مَنّا من يلّي بيعضّوا على الرصاص وبيفتشوا على مشاكل الحياة، ومش من يلّي معاناتهن زادتهن قوة وعزم، نحنا ناس هجرنا أصلنا وعم نوقع شوي شوي، أشخاص بليدين، ما بيطلع منّن إلّا أصوات مزعجة وفوضى. منحسّ إنّو عم نعمل خدمة للإنسانيّة لمّن منوقف بوسط المدينة، مزيّنين متل مجوهرات معروضة للبيع، والناس عم بيتفرّجوا علينا، ولساناتنا مَنّا شاطرة إلّا على يلي بيعملو غيرنا، مش نحنا. وبدل الغيم الطبيعي، السما قدام عيوننا مبطّنة بتلوّث سببه الإنسان وبدل ما نشتغل منستعمل إيدينا بس للتّحيّات وبعدها بيحلّ علينا التعب وما بعرف إذا هيدا قدرنا! (برهة صمت) عظام أبابا رح تجرّحني متل الشوك إذا ما بذلت كلّ جهدي منشان ابني متل ما أبابا عمل كرمالي. لمّن تركني ابني يتنايي، ما في قلب نزف متل قلبي، قلب بيّو، بس قلبي رح يرجع ينزف مرة ثانية إذا بمنع عنه فرصة العلم ويتربى تربية محترمة. (صمت قليل. يعود إلى المقعد ويجلس عند طرفه وبعد أن يمسح جبينه بمنديله، يُخرج الصورة من محفظته ويحدّق فيها) شو رأيك يا آبيي؟

**زيرفو:** (يؤجّل تجاوبه، ينهض من حيث يجلس وينظر إلى موغيس باستهزاء) ملعون!

بعتقد هيدي هيّي اللعنة! قلتها بلسانك، هيدي هيّي اللعنة!!، هيدا كلّ شي صاير. (حائراً، يصمت ويقترب من موغيس، يجلس إلى جانبه ويتابع بنبرة الناصح): اسمع يا ابني يلّي عم قلّك ياه. بدل ما تبيع مرتك وابنك، خدهن وروح عأرض بيّك وخليهن يعيشوا من تعب جبينن. الله كمان بيقول هيك يا موغيساي... (موغيس، محتقناً، ينهض من حيث يجلس بجانبه ويبتعد عنه مديراً ظهره له. زيرفو يكمل على نحو أكثر صرامة) هالشي هوّي روح شيطانيّة ولا مرض!؟، لازم قلّك إنّك ما قنعتني!؟ إعتبر إنّك صرت عم تحكي بلا منطق!؟

**موغيس:** (يدور حوله غاضباً ويتحدث من بين فكين مطبقين كي لا يرفع صوته في وجهه) آبيي خلص، ما تقول إنّي مش منطقي! إنسى كل هالموضوع، كانت مزحة وخلصنا. (على نحو أبطأ قليلاً) وإذا ما بدّك تعطيني نصيحة، شو بدّك بهالقصّة! بس ما تقول إنّي مش منطقي! (يعطيه ظهره مرّة أخرى ويقف على هذا النحو. صمت طويل).

**زيرفو:** (يحني رأسه، وبنبرة نادمة) طيب، ما عاد رح قول شي... وأنت ما تقلّي بدّك نصيحتي. خلص انتهى الموضوع. (برهة صمت. زيرفو خائباً يتململ في مكانه. يتناول قشّة عن الأرض ويستخدمها كي ينظّف ما بين سنّيه الأماميين. يعضّها ويقطعها نصفين، ثم يبصق كلّ قطعة منها. يتململ. فجأة، وبنبرة متعجّبة) طيب! (بعد صمت) طيّب! (بعد صمت) إذا الموضوع ما إلو علاقة بالصّحة، بيكون إلو علاقة بالسِكر. سِكر الروح. هيدا سِكر الشجاعة، والروح!

**موغيس:** (يبقى في هذه الوضعيّة وقد أدار له ظهره. غضبه يهدأ لكنّه لم يتبدّد تماماً ويفور بين الفينة والأخرى موجّهاً فورانه إليه) سبق وقلتلّك هالشي. قلتلّك إنو كنّا أسياد عالم سِكران. قلتلّك إنّو كنّا شهود عالشر، مدندلين متل عناقيد العنب من كروم العالم. وقلتلّك حتّى إنّو الفرحة كانت غامرتنا، معلّقين بالشجر ومنجرح السما، نحنا وعم نحاول نلمسها، كنّا خرا هالعالم (بعد برهة صمت، يرفع الصورة أمام عينيه وينظر إليها، بشوق، ويكتم تنهداته. ثم يعود فجأة ويتوجّه إلى زيرفو، جاهداً في كتم الألم المحتقن في داخله)

ما بدّي دمّر حظوظ ابني بالحياة متل ما عملت بحظوظي يا آبيي! وعم أعمل هالشي حتّى يتناي ما يتأخّر ويلاقي الوقت سبقو مثل ما صار فيّي، يا آبيي! هيدا ابني يا آبي! شو بدّك ياني أعمل؟!...

**زيرفو:** (بيدين مفتوحتين، يتحرّك موغيس نحو زيرفو كأنّه يتوسّل إليه. يبعده زيرفو بيديه، فيبقيه على مسافة، تمنعه من الاقتراب أكثر... وبمرارة يقول) ما بعرف! ما بعرف! (يتراجع موغيس إلى الخلف. بعد صمت قليل، موغيس ويداه ما زالتا ممدودتين، يذهب إلى السرير وقد أخفض يديه ويستلقي. زيرفو الغارق بأفكاره يبدأ بتلفّظ الكلمات، ببطء، وكأنّه يكلّم نفسه) ما بعرف يا موغيساي. (بعد صمت قليل) كلّ يلّي بعرفو عن بيّنا، يلّي كان وَفِي لكل وعد قطعو على حالو، وحرث الأرض بالثور، وكان ما ياكل قبل ما يكون سمّد كل أرضو. الأرض المسمّدة يلّي عشت عليها هيّي كل يلّي بعرفو، وهيّي صرخاتي بعد ما طلعت من رحم إمّي، الأرض يلّي ربيت عليها بعد وقعات كثيرة، يلّي وقفت عليها بأطرافي الأربعة، يلّي جرّحتها وحرثتها وأكلتها. بيّي كان واقف على هالأرض لمن مسكلي إيدي قبل ما إتعلّم المشي، لمن ركض هوّي وحملني على كتافو، لمن علمني قول «كش» للدجاج، وقُوْل «هوها» للدواب، لمن انبطح بوسط الحقل، تيفرجيني شعاع الشمس يلّي كان بعيد، لمن علّمني كيف اتعامل مع المواشي. ما تدير ضهرك لهالأرض، يلّي ماتوا فيها أجدادك، وصارت أجسامن هيّي الأرض، يلّي حارب بيّك كرمالها، ويلّي ماتت فيها أمّك، هيّي (الأرض) ممكن تصير مكان تقاعدك أو طريقتك للنسيان. الفجر بيسرّب عالمنحدرات وبيعربش عالتلال، بيوصّل الضو المسروق، الصيف بيبلع الشتا، بتتلوّن الغيوم بشعاع الضو، ابتسامة جدّك الأكبر وأحلامو السعيدة، القوّة، عرق أجدادك الأُوَل، دمّ وبقايا آباءك... لمّن تجي عاصفة وبترفع ميّة النهر، لمّن الشجر بينحني قدّام الريح، سعادة أجدادك الأُوَلين، دموع أجدادَك الأُوَل... كلّ هالشي فيك توصلّو وناطرك، تكون بهالأرض وتنجبل فِيها، بتقلّك، وقِّف يا ابني، ما تروح وتتركني. ما تخلّي الشوق لهالأرض يتركك، بالعكس، خلّي ذِكراها مَلْو عيونك، حاضرة بصدر بيتك، كيف بتنجمع الميّ لمّن

بفيض النهر، كيف بتنزل من الشجر لتقطّف الشولا[17]... بيجي الخريف، بيروح الخريف، ومننتقل من الحرارة للجفاف... بيقلّي أبابا، اتطلّع على هالإشيا بحماسة ومش بإهمال، كاستي الحليب يلّي كانت مصنوعة من قَرن، مقلاع الجلد يلّي كانوا يحملوني ياه، وبكون عم إضحك وإبكي، التلة يلّي ربّتني، لمن ضهرت من عالم الرحم، قَلّي أبابا بعمرك ما تنسى الأرض حتّى يوم مماتك، ما تبعد عنّها. قال أبابا، لمن لمعة الأرض المسمّدة بتدوب فيها، لمن الأعشاب بتنقلع، غيوم تحت الشمس، لمن الشخص بتغمرو وبترفعو جناحات، فوق الوادي، لمن الوادي بتبلعو غابة كثيفة، الأرض سودا، السما سودا، البحر أسود، الناس سود. لمّن غطا رقيق من الخصب بيغطّي كل شي، لمّن رحم الأرض بيقذف هديّة، لمّن أبناءها بيتغذّوا من الحياة، لمّن صدرا بيكوّن شعور قوي بالتملُّك، ليلّي عم بيطوف فيها وينمو، ليلّي عم يغمرو الفرح بين ثيابها، شعاعات نور الصبح المسروقة، بتتراقص هيّي وعم تغمرها من بعيد، لمّا ولاد الأمل بيبرعموا، رحم الأرض بيفتح، الأرض الشهوانيّة يلّي ولّدتك، الغابة بتشفط كلّ الميّ لمّا الأرض بتيبس، أنت بتقول إنّو ناس اليوم هنّي «جيل ما بيخلّي إيديه تلمس الأرض»، وإنّو هيدي حصتك بالحياة، بس ممكن يروح من بالك أجساد وعرق آباءك!... كلّ يلّي بعرفو هوّي بيّي عم بينادي ويدعي للهداية، يفلح الأرض بالثيران، وياكل من بعد ما يتلّم الأرض المسمّدة. (صمت مديد. يرتاح زيرفو حيث يجلس ويتابع) ما بعرف شو بالنسبة إلكن، وهيدا يلّي بخلّيني اعتقد إنّو هالشي منّو ص.. ص.. صحّي!...

**موغيس:** (ناهضاً من حيث يجلس، بغضب عارم) رح نقاتل يا آبيي! ما تقلّي إنّي منّي منطقي!

**زيرفو:** (غاضباً أيضاً) إذا هالشي ما بيعني إنّك عم تفقد عقلك، بيكون... (محاولاً النهوض، يمسك معدته بكلتي يديه متألّماً ويبقى جاثماً في مكانه. يخاف موغيس ويقترب منه لمساعدته. زيرفو يتأوّه من الألم).

---

**17** نوع من الثمار.

**موغيس:** (يقوده إلى المقعد ويُجلسه بعناية فيما يتكلّم بسرعة بصوت ينهكه الألم) آبيي موجوع! عم بيزيد الوجع؟ روق، ما تخاف، حتّى لو بدّي إتديّن، رح دبّرلك هالـ 2 بر. (بعناية يسند رأسه على مسند المقعد) عمهلك... شوي شوي...

(أضواء المسرح تنطفئ ببطء).

## المشهد 3

بعد دقيقتين عندما تعود أضواء المسرح بالتدريج، لا يظهر موغيس كما في السابق. زيرفو بمفرده، على المقعد الآن، يداه ورجلاه ممدودتان، ومفتوحتان.

**زيرفو:** (ما زال جالساً، يمدّ يده اليمنى كي يتناول الكيرار المعلّق فوق المقعد فينزله ويلاعبه كأنّه بيجينا[18] بلحن مدينة ويدندن لنفسه)

حتّى لو، حتّى لو كنت متل الأرض...

الميت، رفيقي سمّاني الميّت

الميّت، رفيقي سمّاني الميّت

لمّا شافني بشبه الأرض

حتّى لو، حتّى لو كنت متل الأرض.

شو هَمْني إذا كنت بشبه الأرض

---

**18** آلة موسيقيّة وتريّة لها عشر أوتار من عائلة القيثارة.

إذا بعد ما خلقتني وطعمتني، أكلتني؟

من الأرض خُلِقت، من الأرض أكلت

وبعد زمن طويل كتير، رح إرجع لهالأرض

مين قال إني كرهت الأرض وتخلّيت عنها؟

حتّى لو، حتّى لو كنت متل الأرض.

الميّت، صديقي سمّاني الميّت

لمن شافني بشبه الأرض...

يدفع تيكولا الباب ويفتحه ويدخل إلى الغرفة، يعيد زيرفو الكِرار إلى حيث كان. يدخل تيكولا ويبقى جامداً في مكانه لبعض الوقت. يقع زيرفو منهاراً على السرير. يرفع رقبته ويتنشّق الغطاء كأنّه شمّ رائحة كريهة. ثم ينهار مجدّداً. يسند رأسه بيديه الاثنتين ويحدّق بالسقف. يتململ. ينهض زيرفو من حيث يجلس، ويتقدّم نحو الجدار المشترك مع منزل آتو تيليلا. وحين ينتزع قطعة البساط المحشوّة في ثقب هناك، يدخل الغرفة دخان ينبعث من منزل آتو تيليلا.

**زيرفو:** (فيما يضع قطعة البساط على الطاولة) إيه الوضع أحسن هيك. خلّي البيت تطلع ريحتو شوية دخّان. عنّا نقص بالبخّور. (يسمع سعال تيليلا. ينهض تيكولا من حيث يستلقي، يأخذ البساط عن الطاولة ويدسّه في الثقب. يعود ويستلقي) ليه رجعت سكّرتو يا تيكولا؟ شو ما بتفهم، أنا بدي تطلع ريحة البيت دخّان. يا زلمة حتّى ريحة تحميص حبوب البن ما بتطلع ببيتنا. (يُسمع سعال تيليلا. ينتزع البساط من الثقب ويضعه على الطاولة).

**تيكولا:** (يندفع إلى الأمام ويعود ويحشو الثقب بالبساط) الشي الوحيد يلي بيجيب دَخْنِة من هالبيت هو السعلة، والسرطان، والإنفلونزا، والبزاق! (بعد برهة صمت، وفيما زيرفو

يجهد للوصول إلى الطاولة كي يضع البساط عليها، يأخذه تيكولا منه بخفّة ويعيد حشو الثقب به. يعاد هذا الطقس مرّتين إضافيتين، وفي المرّة الثالثة، وبدل أن يقوم بوضع البساط على الطاولة، يضعه زيرفو بين يدي تيكولا. يمزّق تيكولا البساط، يرميه على الأرض، ويعود ويستلقي. يلمّ زيرفو قطع البساط ويجمعها، ويضعها على الطاولة. سعال تيليلا مسموع. وفيما لا يزال مستلقياً يرفع تيكولا رأسه ويقول مثرثراً) يعني إنت بتعرف تدقّ عالكرار! ما معي خبر إنّك بتعرف تدق. ليه، إذا بتعرف تدق، يعني ممكن تطلّع مصاري كثير، وممكن يطلبوك تشتغل محل ما مرت خيّي بتشتغل. ممكن تجيب شغل للشراميط. كانت ما زعلتك هداك اليوم لمّن رحت وقلت إنّك بتقربنا، لو كانت بتعرف هالموهبة الكبيرة يلّي عندك. ناس كتار رح يعبرولك عن إعجابن ويقولولك قديش إنت رائع. كانت ما أصرّت إنها تزعلك، وشرّبتك شي بارد.

ما بتحبني. إذا بتلمحني من بعيد، بتتصل بالبوليس. أووه أووه! عم بيكسّرلي القناني، هيك بتقلّن. معقول مفكرتني مجنون؟ لمّن بتمرق من حدّي، ما بتدقرني حتّى.

(بعد صمت قصير) خبّرك خيّي قُصة مرتو؟ (بعد لحظات يومئ زيرفو برأسه إيجاباً. ينهض تيكولا من حيث يستلقي، يلتهم قطعة من الخبز الناشف المتروك على الطاولة، ويعود على نحو مفاجئ) امرأة أسطوريّة! من خادمة عند الشراميط، لخادمة عند رْجَال ومَنّون مزوّجين. وهالشخص هوّي ربّ العمل يلي بيشتغل عندو خيّي. وما تفكّر إنو القصّة هيك وبس، هنّي بيحبّوا بعض. وبيقولوا إنّو إختنا وظّفِتها. بس هيّي حتّى ما بتحبني. وِحْياة عضام أبابا ما تقرّب صوبي، هيك بتقلّي. وهالشي لأنّي قلتلها إنها بتذكّرني بـ سِيرور مقطّع. قلتلّك إنها رِبْيِتْ على مهنة الدعارة. وهلّأ كبرت على هالشغلة. خيّي حلف يمين إنّو ما عاد رح يلفظ إسمها. أنا ما بآمن بحلفان اليمين. بقضي وقتي عم استنا الفرصة لقول إسمها وإرميه وإبزقو وين ما بروح. ما عدت إهتم بيلّي بيفكروا فيه الناس. حتّى هلّأ أنا وعم أذكرها إدّامك فيك تلاحظ إنّي ما عدت مهتم أبدًا. (يقطع الخبز ثم يتناول قنينة الماء ويشرب ما تبقّى فيها حتّى آخر نقطة). ما عادت تحبّني لأنّي بقلها

إنتي بتشبهي سيرور مقطّع ومغسّل. كانوا يسمّوها شرموطة. بس هلّأ ارتفعت مرتبة وصار اسمها عاهرة!! ورغم هالشي ما زبطت معها. وبكلّ الأحوال بالنسبة إلي، بسميها سيرور مقطّع. عندك فكرة شو هوّي سيرور عيد الميلاد؟ بعتقد بتسموه تنغ؟ بعد ما بتقطع غصن من شجرة زيتون، شَحِّلّو أطرافو، وغُطّو بالزبدة والشحم، وحطّو بالشمس، وخلّيه يحترق بالنار، ويصير بعزّ قوّتو، وهيك بصير عندك تنغ عيد الميلاد. وبعدها، قادة الفريق بيتحاربوا عليه، وبْعُصي الميلاد يلي كل فريق قطعها من خشب شجرة الأوكاليبتوس، شجرة الكيتكيتا، شجرة الكيبيسا، شجرة الزيتون، شجرة الزيغبا، شجرة الديديهو، من شجرة الغيراوا، من السينسيليم، بيصفّوا حد بعض وبيضربوا التنغ بجهة الهدف المعاكس. لهيك بيفركوه بالزبدة والشحم الحيواني، بيشتغلوا عترتيبو وتسخينو، وشَلْفِطْتو، وكلّ هالإشيا ليبلشوا فيه ضرب. مثل عصي عيد الميلاد، ما في بهاللعبة قائد أو فريق. ممكن يصير الضرب بأي مكان وممكن يفوت الهدف بأي إتجاه، الخبرية منّا مرهونة بالاختيار. من لمّن قادة الفريق ببلشوا يتنافسوا عليه لوقت ما يرموه، بيكون تقطّع، انفلع، تشقّف، تآكل، وانتهى، وبيضلّ مفتوح قدام عصي الميلاد، لينضرب كلّ الوقت. إيه. لهالسبب بسمّي إختنا سيرور مشقّف. (ينهي التهام الخبز ويجلس على طرف المقعد). هِيِّ يلّي اختارت زوجة خيّي ودبّرتلها وظيفة ببيت الزلمي. حِكي معك خيّي عن مرتو، مزبوط؟ هالمخلوقة قصّة. (برهة صمت) شو رأيك؟

**زيرفو:** شو رأيي بشو؟

**تيكولا:** بخيّي؟

**زيرفو:** أوه... (برهة صمت) بعتقد يلّي ناقصو هوّي حدا ينصحو.

**تيكولا:** فيك إنت تقوم بهالمهمّة؟

**زيرفو:** (بعد برهة، وقد فكّر بالأمر) لاء، طيب كيف ممكن أعرف؟

**تيكولا:** شي مرّة نصحت حدا بموضوع وساعدتو يتحسّن؟

**زيرفو:** (بتردّد) لاء، يمكن شوي...

**تيكولا:** حدا ساعدك بشي موضوع من خلال نصيحتو إلك؟

**زيرفو:** (بتردّد) ممكن... شوي...

**تيكولا:** في شي مرّة ساعدت حالك من ورا نصيحة وجهتها لنفسك؟

**زيرفو:** (بعد برهة، وعلى نحو غير واثق) إإ – ييه. ممكن، شوي... إيه.

**تيكولا:** النصيحة الوحيدة يلّي بتملكها هيّي عن الوسخ الأسود! ما عندك أي فكرة عن أي شي تاني!! (برهة صمت. للحظة تبدو عليه بعض علامات الندم، لكنّه على الفور، كمن يستيقظ من النوم) بس أنا ولا مرّة عطيت نفسي نصيحة. أنا والضـ. الضمير، ما منتواجه عين بعين... وما منلتقى. أنا دايماً هربان من وعيي، من ضميري، بالحقيقة وبالحلم كمان. إيه، نحنا

مـ. مـ. مش عَذَوْق بعض. (فجأة ينتزع بقّة من شعره. يفركها بين أصبعين من أصابعه، ويرميها على الأرض ويدوسها بقسوة بكعب حذائه مرّتين، وفي المرّة الثالثة يسحقها بكعبه ويغرق في التفكير. شارداً. يجلس حيث كان جالساً في السابق ويتوجّه إلى زيرفو) شي مرة قدرت تهرب من ضميرك؟

**زيرفو:** (مُتفكّراً في الأمر) بالحقيقة ما بعرف... ما بعرف... والله ما بعرف.

**تيكولا:** (يضيع في الأفكار ويعود مرّة أخرى) يمكن لهالسبب ما بحتاج لنصيحة. إيه يمكن هيدا السبب. (برهة صمت) شو رأيك؟

**زيرفو:** رأيي بشو؟ (يميل كي يضمّ معدته بيديه من الألم)

**تيكولا:** (بعد برهة صمت) لاء ما شي. (برهة صمت) إنسى. (بعد برهة صمت ينهض من حيث يجلس) قلت إنّو خيّي بحاجة لمين ينصحو؟

**زيرفو:** (بتردّد) إإإ إيه. إيه...غالباً إيه.. بحاجة لحدا إيه.

**تيكولا:** إيه. على الأرجح بحاجة لحدا. شوف، لمن خيّي بيتعلق بشي، بيكون متل الحمار يلّي عم يشرب مي. بيشفط كلشي، هيك متل الحمار، وما بيخلّي ولا نقطة. حتّى بعد ما يمضى الوقت، وحتّى لو نقال شي عن الموضوع، ما عندو قيمة لشي. لمّن ترضيه كباية تيلا كبيرة مش مصفّاية، ببطّل يطلعلو حسّ. وحتّى لمن يكون راضي، هالشي ما بيكون إلّا منظر.. دخّان برّاني. (برهة صمت) مبارح مبارح بالليل، شفت ناطور حرس منحني بزاوية معتمة وعم بيولّع سيكارة، وفجأة شفت نار الولاعة عم بتضوّي جبينو وعلى مهلو صار وهج النار ينزل وفكّرت النار ولعت بالرجال. ولمن بسرعة بعد عن العتمة وشفتو عم يتنفّس (بصوت عالٍ) بيّن إنّو تمّو معبّا دخّان سواكير رخيصة! (برهة صمت) خيّي حالتو بتشبه هيك. بيقضي وقتو عم ياكل نار، بس كلّ يلّي بيطلع هوّي دخّان! (برهة صمت. يمكن سماع صفرة طويلة من الخارج. تيكولا يشنّف أذنيه. بعدها يمكن سماع صفرتين أقل طولاً واحدة إثر الأخرى. يدخل موغيس مندفعاً، ويقف على السرير ويفتح الشبّاك عند رأس السرير، وبعد إطلاقه صفرة طويلة وصفرتين قصيرتين، يطوي شفته السفلى بإصبعيه، وينادي صارخاً)

**موغيس:** هاي! هاي! جاية! سمِعْتِك! – في اللغة الأمهريّة هناك طريقتان لمناداة رجل أو إمرأة، وهنا موغيس ينادي امرأة – اليوم هوّي يوم كوتشيرا[19] ما تنسي هالشي! نادي لجوني وبيرت وانطريني! جوني ما معو مصاري، لهيك راح على محطّة القطار تيشوف إذا فيه يشحد أو يلاقي سواكير! أما بيرت، فعالأغلب تكون عم تفتح بواب السيارات قدام مدخل فندق «راس» وعم تعبّي جيبتها بخشيش! مفكرة كلّ أجنبي ممكن يعطيها! وما بتميّز السائح عن جنود حفظ السلام! أما بالنسبة إلي، فأنا دايماً مكسور! منلتقى هونيك، باي! باي! (يُخرج سكيناً صغيراً من جيب بنطاله ثم يعيدها. وينزل عن السرير بخبطة). رح نقضي الليلة عم نلوّن الكوتشيرا بالأحمر! رح نسهر كلّ الليل عم نلوّنها بالدم الأحمر!

---

**19** يوم يكون فيه الكحول أرخص ثمناً.

**زيرفو:** (ما زال محتضناً معدته بهدوء) شو قلت؟

**تيكولا:** (بهدوء وغضب) خفّ وجع البنكرياس؟

**زيرفو:** إيه؟

**تيكولا:** وجع البنكرياس تيعولك؟!

**زيرفو:** (بقليلٍ من التفاجؤ والتردد) شو... شو فيّي أعمل برأيك...

**تيكولا:** (صارخاً) فإذن ليه ما بتروح! عم قلّك ليه ما بتروح! (يمشي نحو الباب. يندفع عائداً، ينتزع البساط عن الطاولة، ويسدّ به الثقب في الجدار. يندفع خارجاً ويغادر).

(بسرعة تنطفئ أضواء المسرح).

# القسم الثاني

## المشهد 1

اليوم التالي، السبت، الساعة الواحدة بعد الظهر. المسرح ما زال معتماً. من مكان العمل القريب، يتعالى صوت المنبّه معلناً الثالثة بعد الظهر. سعال تيليلا مسموع. عندما تُضاء الأنوار، يبدو البيت خالياً. يدخل زيرفو على الفور، متخبطاً من الألم، يشد على معدته بيديه، لاهثاً.

**زيرفو:** (يقف منحنياً على السرير). ما في حتّى باب ورّاني. الناس المحترمة مستحيل يقدروا يتمشّوا بنص المدينة. آه على المدينة! هلّأ عنجد هاي عيشي يلّي عايشينها؟ يا مخلّص العالم، ليش ما بتخلّي هالولاد يصيروا مستاهلين ورتة بيّون؟ آه على حياة الفسق هيدي! معقول تكون أهملتهن؟ إذا ميّة العمادة (مياه «التيبل»، أي المياه المقدّسة) انذكرت قدّامن بيصيروا يضحكوا. ليش. تصرّفات الصغير بينهن ما بتتصدّق. مبارح ضَهَر مستعجل أول النهار وما رجع لنصّ الليل، عم يلهت وتيابو غرقانة بالدّم. هوّي ونايم كان عم بشوف كوابيس، ويبرم ويتقلّب، ويلبّط، وبعدها، قبل ما يصيح الديك، راح وبعدو بيرجع! طيب شو هيّي هالضهرات بالليل، فيّي أعرف! وين معقول يكون عم يروح! الناس والبيوت الكتار بيخوفوا، بيحسّسوك وكأنو بغابة مدنيّة. غابة اسمنت. المكزدرين، السيّارات، النصّابين، الناس الناطرين قدّام قصر العدل، المشاغبين، العاطلين عن العمل، الشحّادين، المجانين، وكلّن! شايف شو فيها أنواع بشر! ليش ما بتوجّه سبيل هالولاد باتجاه أرض بيّون؟ بالنسبة إلي، سبق وطلبت منّي وقّف أسئلة وطلبات، قلبك قسي عليّي. حتّى إنّك ما بعتت خادمك الأوّل تياخدني. (سعال تيليلا مسموع وعلى الفور راح يعلو) كيفك يابا! بعتقد ما سمعني. (يفرغ الثقب ويتكلّم بصوت عالٍ من

خلاله) كيف الحال! انشا الله عم تتحسّن! أخخ! ما بعتقد إنّو سمعني. (يترك الخرقة على الطاولة. يدخل موغيس ومعه خبز رخيص ملفوف بجريدة تحت ذراعه وفي يده اليمنى الصحيفة الأسبوعيّة التي تصدرها دائرة الشرطة. وجهه ممتقع بالحزن. يضع الخبز على الطاولة ويتمدّد على السرير. يتحرّك زيرفو نحو موغيس) منيح يلّي جيت موغيسي، منيح يلّي جيت. عندي هموم بدّي شاركك ياها. شوف يا موغيسي (على الرغم من أنّه يمكن قراءة الاضطراب في روح موغيس على جبينه إلّا أنّ زيرفو لا يلاحظ شيئاً. يرفع نفسه حيث يستلقي ويستمر في تصفّح الجريدة، ويجلس. يتابع زيرفو على نحو متردّد) شوف، «الشرف» مكتوب باعتبارو كلمة الله. (يتردّد) شوف يا موغيسي، البيّ بينصح إبنو، والأكبر بينصح الأصغر. وهلّأ بدّي ياك تمرق النصيحة لحدن تاني. بالنهاية، حتّى لو إنّي ما خلّفتكم، بس أنا ببقى بَيْكون. حتّى إنّو في مثل بيقول، «ابن الخيّ هوّي ابنك يلّي ما خلّفتو». خيّك، متل ما شايف، عندو تصرّفات خاصّة فيه. من دون إنذار بينفجر بوجّي. كل شي بيعملو منّو طبيعي. آخ يا موغيسي، هالشي ما بيمشي معي. من الأفضل إنّك توقفو عند حدّو. عندو ميل لتحويل الإشيا المنيحة وبيعطيها معاني سيئة. كل شي بيكون ماشي وفجأة بيغلي وبيفور وبيعصب متل النمر. وفوق كلّ الإشيا عندو تعبير بيستخدمو: «رُحْلو». وبِبالغ فيه وبِبطّل يقدر ما يستعمل هالكلمة «رُحْلو – رُحْلو». هلّلق بشرفك هيدا حكي أمهري؟ الله من عندو يهديك، هيدا أمهري؟ لا، ما رح يمشي الحال يا موغيسي، دخيلك وقّفو. (وموغيس، بتصميم وهدوء يطوي الجريدة مرّة إثر أخرى، كأنّه لم يسمع شيئاً ممّا قيل. بعد برهة، يُشير زيرفو بنزق إلى السكين عند رأس السرير) شفت هالسكّين؟ شفت هالسكّين يا موغيسي؟ أنا، بيّك، اشتغلت فيها. صحيح إنّي ما جبت ولاد، بس هيّي (السكّين) بنتي. إيدي اليمين، الشخص يلّي بيواسيني بالأيّام السودا. وقت السلم، هيّي حد تختي، وقت الغربة ما بتفارق خصري. إذا قريب بحبّو خانّي، هيّي ما بتخونّي. هيّي معي، مثل ربي يلي بعبدو. بتواسيني وبتتودّدلي. بتسمعني إذا بشكي. بتنتقم من يلي عم يعتدي عليّي. شايف يا موغيسي، أنا، بيّك، اشتغلت معها! (للمرّة الأولى، يستيقظ موغيس من حلم يقظته في الجريدة ويحدّق في زيرفو بعينين

فارغتين، تائهاً بعض الشيء، وبعض الشيء معاتباً. يتملّاه، ويتفحّصه. عينه في عينه، ينظران إلى بعضهما البعض لبرهة. من ثمّ تبتعد عينا زيرفو على مهل. ويعاود احتضان معدته، ويقترب من السرير ويجلس ورأسه منحنٍ. صمت مديد).

**موغيس:** (يتوجّه إلى الصحيفة ومن ثمّ إلى زيرفو مرّة أخرى، وبنبرة ندم) آبيي، بخبّرك الخبر السيّء يلي قريتو بالجريدة؟

**زيرفو:** (بهلع) شو هل الخبر السيّء، قلّي!

**موغيس:** (آخذاً وقته) اسمع! (يقرأ)

«كشفت دائرة الشرطة في المنطقة الثانية ليلة أمس الجمعة، عند الساعة العاشرة والربع، في منطقة تُعرف بـ كوتشيرا، وعند الجسر الواقع على بعد ثلاثين مترًا إلى غرب المنطقة المعروفة بـ أبيغاز تيليلو، عن ثلاثة لصوص، لا يعرف عنهم إلى الآن عنهم سوى ملامحهم وأطوال قامتهم، أسماؤهم وعناوينهم ما زالت مجهولة، قاموا باقتحام منزل آتو أشاغراوي غورمو، وطعنوا الأخير في فخذه بسكين، وهربوا بعد أن أرهبوا خادمته تيهوناي. وأفاد آتو أشاغراوي غورمو أنّه وقبل هذه الليلة لم يكن قد شاهد أيّاً من وجوه اللصوص هؤلاء ولم يعرف اسم أيٍّ منهم. لكنّ خادمته، الويزيرو (الآنسة) تيهوناي أشارت في إفادتها أنّ واحدًا من هؤلاء اللصوص الثلاثة يُشبه الأخ الأصغر لزوجها السابق، تيكولا يتنا، إلّا أنّها غير متأكّدة لأنّهم حين قيّدوها، كان العتم مخيّماً، كما أنّها لم ترى اللصين الآخرين. وحين سئلت إن كانت تستطيع أن تدلّ الشرطة إلى منزل زوجها السابق، قالت أنّه مضى أكثر من سنتين على انفصالهما، وأنّها تعرف فقط الحيّ الذي كان يسكن فيه سابقاً، وليس حيّه الراهن. بالرغم من هذا، وما أن أفادت في أن شقيقته تعيش في منطقة كوتشيرا وتعمل عاهرة وتبيع الكحول وأنّها (أي تيهوناي) تعرف عنوان سكنها وأن زوجها السابق وربّ عملها الحالي آتو أشاغراوي غورمو يعملان في المكان نفسه، أفادتنا دائرة الشرطة في المنطقة الثانية بأنّ المسألة قيد التحقيق. وفي الأثناء يخضع آتو أشاغراوي

للعلاج في مستشفى دغماوي مينيليك».

(برهة صمت. يقذف الجريدة على السرير وبعد وقفة قصيرة، وبنبرة مُحادثة) وهيك، اليوم الصبح، بعلمي كل شي ماشي الحال، رحت على المكتب ولاقيت الشرطة ناطرينّي، قالولي تعا، أنت مطلوب للتحقيق، أخدوني، وقضيت كل هالوقت عذمّة التحقيق. وعَدِتْهُم إني بلّغهم شي إنّو يجي تيكولا عالبيت، أو إذا اكتشفت وين بيكون، اتصلت بحدن تيكفلني، ورجعت على البيت وهيدا يلي صار. (صمت مديد).

**زيرفو:** (يتكلّم بحزن مرير) آخ! آخ، يا مريم النور! آخ! (برهة صمت). يعني هلّأ شو لازم نعمل، يا موغيسي؟

(برهة صمت. يدخل تيكولا فجأة. ينظران إليه بوجل. ينظر تيكولا بسرعة كي يرى إن كان ثمّة غيرهما في المنزل، يذهب نحو الباب وينظر إلى الخارج، يوصد الباب من الداخل، يضع يديه في جيبي بنطاله، ويقف هناك مرتجفاً).

**تيكولا:** (للمرّة الأولى بنبرة هادئة) آبيي... آبيي، دخلك بـ - بيّنا، بـ - بيّي، كيف كان؟ (برهة صمت).

**زيرفو:** ليش بيّك... بيّك كانت كل المنطقة تعتبرو رجّال عظيم، يا تيكولاياي. بيّك كان شخص إذا قوّص ما بيخطئ هدفو، والكل بيسمعلو لمّن يغضب، والكل بيخاف منّو إذا حمل سلاح. بيّك كان رجّال!

**تيكولا:** (بسأم) بيكفّي، بيكفّي. (صمت) بيكفّي. (بعد برهة صمت) شفت، لأنّو أنا وأنت ما منجتمع، ما منتفق أبداً. لمّن بسألك، كيف كان بيّي، بقصد ضحكتو، ومش عصبيتو. مش الخوف يلي كان ينشرو لمّن يحمل سلاح.. أناقتو لمّن يلبس. مش سرعة طلقاتو، بدي أعرف عن كلامو الهادي، ضحكتو، وحكيو. أنت بتخبّرني يلي بدّك ياه، ومش يلّي بطلب منّك تخبّرني ياه. يلّي بدّي أعرفو هوّي حكمتو لمن يكون حزين، الفِرْق يلي بين سنّيه الإدمانيين لمّن بيتبسم، حضورو المؤثّر لمّن يتحدّث، كيف كانت شخصيتو. مش كيف كان

من برّا، كيف كان من جوّا، من قلبو. مش بيّي «الرجّال»، إنّما بيّي الإنسان. مش بيّي «البطل»، إنّما بيّي الأب. (ببطء) عم تفهم؟ (زيرفو، الذي يذهله ما يسمع، يبقى صامتاً – تيكولا، ببطء، وبنبرة يائسة) بيكفّي... بيكفّي!! (برهة صمت).

**زيرفو:** (يتناول القصبة الصغيرة التي سقطت عن طرف السرير ويضعها إلى جانبه). شفت هالقصبة اليابسة يا موغيسي. كانت لجدنا يلّي عطاها لوالدكم. بإيّام جدنا، كل واحد ما كان قاتل قتيل وملوّث بالدم ما كان يتزوّج، فراح على غابة فيلة وجاب هالقصبة من الصحرا. ومن هداك الوقت، ما في لا سبت ولا أحد فارقت فيهن هالقصبة بيّك. لمّن راح تيركع ويصلّي قدّام الكنيسة، لمّن راح على وسط المدينة بشغل، لمن راح على المجلس ليعقد السلام والصلحة، كانت هالقصبة بإيدو. وبيقولولو فيه قصب كتير أحسن منها، ليش وين ما رحت هالقصبة بتضلّها معك، بيجاوبهم، «لتخلّيني فكّر بيلّي مضى». وبيقلّن، «يلّي ما بيفكّر بالماضي، ما بيقدر يستوعب حضور المستقبل ولا يتحضّرله». (بعد صمت قصير، وإذ انحنى كي يتناول القصبة، يحتضن معدته من الألم ويبقى منحنياً. وعندما يساعده موغيس بهدوء كي يجلس هناك، يأخذ نفساً ويستمرّ بالكلام، بين وخزة ألم وأخرى). شفت يا موغيسي، المسألة مش مسألة تفضيل يلّي بدّي ياه، إنّما تفضيل يلّي بالحقيقة بعرفو. القصّة مش قصّة «ضحكة وحديث» بيّك يلّي بذكرهن، إنّما رجوليتو الحازمة وجبروتو بالفلاحة. (صمت، يلهث من الألم، يبسط راحتي يديه على الأرض أمامه وبصوت تقطّعه الدموع) شايف هالإيدين؟؟ شايف هالإيدين؟؟ قضوا حياتن كلها عم ينضفوا الوسخ الأسود وهلّلق صاروا مثل الوسخ. قضوا أيّامن مع البقر لحتّى صارت ريحتون مثل ريحة الطرش. قضوا الشتا عم يغرسوا الأرض، ويحرثوها، ويبذروا الزرع. وقضوا الصيف تحت الشمس الساطعة، ميبسين مثل الأرض البور. وهلّق تفسّخوا وتشقّقوا. لكن إيديّي كمان بيفهموا إنّو وسخ جدودي الأسود هُوّي بيّون يلّي بيمنحون الحياة وهوّي بيتون الآمن. لمّن الزرع بِينْما وبِكْبر، بيصيروا إيديّي ينزّوا شحم مثل جاط زبدة عاملتو سِت بيت شاطرة. لمّن النار توصل لحقل الحصاد، بتصير إيديّي

تحكني كأنّو فيها حبوب بِتِرْعا. لكن رغم كل شي، بحياتها إيديّي ما خجّلتني. بس هلّاء خريف العمر بلّش يقرّب منّي يا موغيسي. شمس عمري عم تغرب. من هلّق ورايح، أرض بيّك يلّي غزتها الغابة، ما لازم تلمسها إلّا إيديك يلّي بحياتها ما لمست الوسخ. لإنّو إيديّي وفّت خدمتها بأيّامها. موغيسي.. (يبدأ ثمّ يتوقّف، كما لو أنّه فقد الأمل. برهة صمت. ينظر موغيس وتيكولا أحدهما إلى الآخر ثم يلتفتان مُبعِدَين نظريهما. بعدها مباشرة، يلهث زيرفو من الألم ويحتضن معدته بيديه. سعال تيليلا مسموع).

**تيكولا:** (يتوقّف سعال تيليلا، وبصوت حانق) لمّن الواحد منكن بيوقّف يئن، ببلّش الثاني بسعلة السرطان. (برهة صمت. وكأنّ ذلك من عاداته، يلتفت، ويتكلّم على نحو مُستهزئ) خلّيتك تحزن يا آبيي؟ حصتي بالحياة هيي إني خلّي الناس تحزن. (تخرج من زيرفو تنهيدة ألم. ينتظر تيكولا قليلًا ثم يكمل) لمّن كنت بالصف الخامس، في بنت بشعة بتشبه الفرّاعة سألت عن الدموع، شو بتكون؟ «عن جد شو هيّي؟» قالت. «إذا أنا بعرف حالي، العرق بينزل من جبيني، وما بينزل دموع من عيوني». قالت، «ولمّن بيجي يوم بِدهُن يخونوني فيه ويحاولوا ينزلوا، بيخلّي قلبي يُنعصر، ومعدّتي تحترق، بس ما يدبلوا عينيّي.. شو هنّي الدموع». (صمت) بس هلّلق هالبنت صارت حدن مهم، هلّلق صارت بتهتم بحالها، بتستخدم وبتستأجر الناس يلّي بتنزل من عيونهم دموع، يلي بُكاهم بيقهر... إيه، هلّاء عم تهتمّ بحالها... هلّلق صارت شخصية قوية. (بعد برهة، يضحك بسخرية، ويقترب من زيرفو) وأنت كمان كون هيك، ما تبكي، ما تشغل بالك، ما تبكي بمرارة... يعني يا آبيي زيرفو، إذا كنت خلّيتك تصير حزين، هيدا لأنّو شغلتي بالحياة خلّي الناس يحزنوا... شفت يا آبيي زيرفو...

**موغيس:** (فجأة يقف غاضباً، يلتفت إلى تيكولا ويُريه الجريدة، صارخاً) إنسى كل هالإشيا هللق، شفت هالجريدة!!؟ ( يحدّق فيه غاضباً. ينظر تيكولا إليه دون أن يقول شيئاً. بعد صمت قليل يهدأ غضب موغيس، ويعود إلى حيث كان يجلس ويتكلّم بهدوء) إنسى هالموضوع وخبّرني، سبق وشفت هالجريدة؟ (برهة صمت).

**تيكولا:** (يفهم الموضوع لكنّه يتظاهر بأنّه لا يفهم، ويتحدث باستخفاف) مين يلّي المفروض إنّي كون عم بتركو وحدو؟ آبيي بسبب دموعو؟ (برهة صمت. وفيما يستغرق في أفكاره، تتحرّك أنفاسه السريعة والقصيرة، وتتراقص عيناه ذات اليمين وذات اليسار، ويظهر ارتجافه. ويلتفت على الفور نحو زيرفو) بالنسبة لآبيي، ما تخاف عليه كَوْنو وحدو، أنا مغطّيه من كلّ النواحي، لمّن بيندهلي بجاوب، ولمّن بيبعت بطلبي بسأل بس للحدّ يلي بخلّيه مبسوط. شو فيّي أعمل أكثر؟ هلّق أرجوك، كون أنت الحكم؟ ليل نهار بسألو، تحسّن معك البنكرياس؟ بتفقّدلو طولو، بتفقّد شرايين دمّو، وبقول، يا الله، أنت حصتي، أنت همّي. جيت الصبح بكّير، يا إلهي، وبلّش اختباري، يا رب، بلّشت محاكمتي، وبقول إنّو آبيي. شو فيّي أعمل أكثر من هيك! رح يضل تحت نظري ورح قول، إنت حِملي التقيل! (وإذ يزداد الألم، يحتضن زيرفو معدته بيديه ويتأوّه متألّماً. موغيس يسندُ زيرفو باتجاه معاكس وحين يمدّده على سريره، يقول تيكولا، وهو يتابعهما بنظره) شو فيّي أعمل بعد؟ - أكتر من هيك، شو متوقّع منّي إنّو اخترع؟! (صمت مديد)

**موغيس:** (بعد مساعدته زيرفو في الاستلقاء على السرير، يُجبر نفسه على كبح الغضب الذي يتملّكه ويقترب من تيكولا) إذا بتريد فيك تجاوب على سؤالي يا تيكولا؟؟ عم بسألك إذا سبق وشفت هالجريدة!!

**تيكولا:** (بمرارة، وبسرعة) إذا جاوبت إيه، بشو رح يفيدك الموضوع؟؟ شو رح تحقّق إذا قلتلّك إيه؟!! (يتحرّك إلى يمين مُقدّمة المسرح، مُدخّناً، ويقول بغضب) شوف يا خيّي، إنت سبب كل هالشي!! (وإذ يتوقّف موغيس فجأة، يبدأ بالكلام على نحو أسرع، بثقة متزايدة) شوف يا خيّي، إنت لغز!! إيه، إنت قصّة بتحير!! إنت نكتة بتبدا حكايتا الصبح مع طلوع الضو وبتكمّل لوقت النوم بالليل!! إنت أنسب موضوع للجأجأة والنمنمة بين الجيران بكلّ المنطقة، بين رفقاتك بالمكتب، بين يلي عم يشربوا القهوة، فنجان ورا فنجان[20] إنت نكتة بيحكوها لبعض بساحة البلد، بكلّ المدينة، من شرقها لغربها! إيه!

**20** في العادة شرب القهوة في أثيوبيا يفترض صبّ الفناجين لثلاث دورات.

إيه! إنت نكتة الكلّ بيحكوها، بيسمعوها، وبيتناقلوها!

(يتقدّم موغيس بسرعة نحو تيكولا ويصفعه. في تلك اللحظة لا يعرف تيكولا ماذا يفعل ويبقى صامتاً مثل جثّة. يهدأ روع موغيس قليلاً ويُنازعه الندم فيما يتقدّم نحو المقعد ويجلس عند طرفه، رأسه مطأطأ. يتكوّر حول نفسه في أسى. ويضيع في الأفكار. تيكولا يراقب موغيس، يتنفّس بثقل وبانفعال يختلط فيه الاستهزاء بالعبث، يشرف على الضحك لكنّه لا يلبث أن يغرق بالأسى والنشيج المكبوت. يعلو من الخارج صوت خطوات راكضة. يفتح تيكولا الباب وينظر إلى الخارج ويرتدّ خائفاً. يمكن سماع صفّارتي شرطة. موغيس وزيرفو الخائفان يبقيان صامتين. وفيما يندفع تيكولا نحو الجمهور محاولًا الهرب، تنخفض أضواء المسرح وتُنار أضواء البيت. وفيما يلقي رجلا شرطة القبض على تيكولا ويقتادانه إلى الخارج، تنطفئ أضواء المسرح والبيت بسرعة).

## المشهد 2

الساعة التّاسعة إلّا ربع صباحاً في اليوم السابع. نسمع ضجيج المارّة المعتاد، أصوات خطىً، هدير سيّارات وزعيق زمامير. زيرفو يغطّ في النوم.

**موغيس:** (ترتفع الأضواء فيما ينهض من السرير، يرتدي كامل ثيابه ما عدا المعطف وفردة حذائه اليسرى، يجلس عند طرف السرير ويسرّح شعره. وفيما يسرّح شعره ويرتدي معطفه وحذاءه، يبدو في حالة بائسة وسارح الذهن. يفقد تركيزه بين فينة وأخرى، ويتوقّف عن الحركة. وإذ يحرّك يديه ورجليه يبدو ذلك بفعل العادة لا الإرادة. وحين ينظر إلى الساعة ينتفض خائفاً، وحين ينتبه إلى أحد أعقاب السكائر التي تركها تيكولا متناثرة هنا وهناك، يقف ويلمّها ببطء عن الأرض. إنّها قطع صغيرة يكفي ملقط صغير لالتقاطها، الرماد المتبقّي أكبر حجماً من العقب بأكمله. وما أن يلتقط واحد

منها، يسرح في الأفكار ويجلس عند طرف السرير، ساهِماً. وهو ساهِمٌ وسارحٌ في أفكاره، يلتقط عقب السيكارة بين أصبعيه ويتساقط رمادها على الأرض ويتناثر. ويبدأ بالدمدمة فيما يراقب بقايا السيكارة وتناثر الرماد في الهواء، وكأنّه يحادث شخصاً يتصوّره أمامه).
تغيّرت كلّ طباع تيكولا بهالأيام السبعة، كان الواحد بيكفي ينادي إسمو حتّى يخلّيه يعصّب، ومبارح بالسجن كلّ الوقت كان راسو مطاطي وناداني «غاشاي». بسبع تيام، فتوّة التلاتة وعشرين سنة هِمْدِتْ، وصار ختيار عمره تسعين سنة. هُوّي يلّي كان يفتّش على الدم بسّ تشحّ المي، صارت عيونو برفع الإبرة وقلبو صار ما عم يستعملو إلّا للفحوص الطبّيّة. قبل ما ياخد أي نفس، حتى لو كان نسمة صغيرة، بيتردّد، وبيفكّر وبيفكّر. سمّاني «غاشاي». وسألني، «قولَك لعنة بيّنا حلّت علينا؟» ما قدرت فكّر بجواب وتشوّش ذهني. قلتلو لمّن العذاب بيجرّبنا، دايماً تجربتو بتكون شريرة. (برهة صمت) قلّي، أحلامي تغيّرت بهالأيّام. بِحلَم باتجاه الداخل مش الخارج. وشرحلي إنّو، لمن بيزعل، أو بيعصب أو بيكره شي، هالشي ما بيكون إلّا حالو. لمّن قال، إنو ما عاد في حدا تاني بحياتو تيغضب عليه لمن بيكره شي وإنّو هالأمر نوع من التخلّي عن العالم، أنا كمان حسّيت بالحيرة. (برهة صمت) لمّن صار يتطلّع سارح بأفكارو، كانت العروق بجبينو معلْمة كأنها كدمات بعدها ما بردت. ولمّن بيطلّع بنظرات محّددة، ببيّن البوبو جوّا عينيه قد البحصة الصغيرة، بحصتين مخترقين جمجمتو متل شعاعين صغار من نور شقّوا السقف. بهالعالم الغريب، خيّي يلّي عاش بالطول والعرض وانجر ورا حياة السوء هلّق كبر بالحبس. هالتيكولا يلّي دايماً كان يقلّي ليش إنت هون بدل ما يقلّي أنا سعيد إنّك هون، ناداني هلّق «غايشي» وراسو منحني. بعتقد إنّي شفت شخص ظاهرو كان غرقان ببحر من السوء، وجواتو معفّن، لكنّو مبارح نضج من جوا، وضلّت ظاهرة من برّا جروح المعاناة. الشباب الضايع يلّي سمّم تيكولا، ظهر مبارح بمظهر رجال كبير بينصح الآخرين من التجربة يلّي تعلّمها من عمرو. تيكولا تغيّر. خيّي يلّي ضل يهرب من رأي الناس التانيين... (عندما دقّت الساعة التاسعة صباحاً وتناهى صوت المنبّه من المشغل القريب، يستعد، ينهض، ويمشي بسرعة كأنّه سيغادر، ثم يجلس إلى جانب سرير زيرفو) ... آبيي،

آبيي، أرجوك فيق، كول شي، عالقليلي تغرغر بالمي! (فيما يتناول قنينة المياه عن الطاولة، يأخذ قطعة الخبز الموضوعة على الطاولة والملفوفة بجريدة ويضعهما عند أسفل سرير زيرفو) يلّا، ارفع حالك، إذا نمت عليه (على المرض)، بينام عليك. اليوم، مش مهم من وين رح إدّين المصاري، ما رح إرجع إلّا ما كون اشتريتلّك دواك. (مصحّياً إيّاه) يلّا هلّق، قوم. (وفيما يرفع زيرفو نفسه لاهثاً من الألم، يغادر موغيس مسرعاً).

**زيرفو:** (ألمه لا يكلّ، يثقل عليه. وبعد جهد حثيث، بعد أن ينجح أخيراً في رفع نفسه، يخرج نفسه بصعوبة وهو يصلّي ويتكلّم). إنت أخبر، إنت أخبر، إنت أخبر (بنبرة مُثرثرة) لمّن بتوسّلك، بتضلّك عم تراوغ. بقلّك خدني من هون، بتقول لاء، بقلّك تركني لوحدي، بتقول لاء، ما بتحلّ، وما فيّي زيحك. بعتقد هلّلق صرت ختيار وبطيئ، يا ابن مريم. لهالدرجة تدهورت علاقتنا، لمجرّد شكاوى مش مسموعة من مَرَة ختيارة، لمجرّد تذمّر. وإنتي، ليش ما بتقوليلو يوقّف، يا مريم النور؟؟ لمن سألتو يخلّي هالولاد يستحقّوا ورتة بيّون، خلّا واحد منن يختنق هوّي وواقف، والثاني يفوت عالحبس، وبعدها تجاهلني. (تمرّ فترة قصيرة من الوقت بينما ينشج من الألم، بعدها وكأنّه يصلّي) يا ابن الله، استجبلنا، يا ابن مريم، استجبلنا، يا رب، استجبلنا، الرب يلي بسط الأرض ورفع السما بلا عمد، إنت أعلم. إنت أعلم العالمين. (يبدأ بالتثاؤب لكنّ الألم يعظم فيوقفه ويغدو جامداً). خلص، ما تبكّيني عليك، خلص، خلص هالشي ما بيسوالك، خلص، صراحة لازم تكون عم تساعدني لإتحضّر لموت بعد الإعتراف، وإذا ما بدّك تساعدني، تركني وروح، خلص يا ابن مريم، خلص. خلص يا إمّي، خلص... أرجوك ما تخلّي هالولاد يبعدوا أكتر عن ورتة بيّون، هالشي بيكفّي. ما تخليهن يهربوا من الوسخ الأسود، بيكفّي. حرّري هيداك من الحبس، وهيدا من عيشتو المخنوقة، ودلّيهون على ورتة بيّون. دَوقيهون طعم الحصاد، المحاصيل، والوسخ الأسود... صباح الخير يلّي هونيك... (عندما يرفع صوته كي يلقي تلك التحيّة، يقطعه الألم فيصمت. وعلى الفور إذ يستعيد نفسه، يطلع صوته وسط صفير الألم)

لمّن هالأرض البكر بتنادي، لبّي النداء والعرق على جبينك..

رحْم الأرض مشرّع والثمار محروسة والزرع بكون عم ينما..

يلّي إلكن الأرض السمرا! يلّي إلكن الجنى والمحاصيل!

الأرض كانت متروكة بلا عِترة، الأرض كانت ناطرة مين يحرثها..

المطر أجّج النار، الشمس دوّبت الشحم بكل شي، العشب خنق الثمر..

وأنا بعدني عايش، ليش حتّى كون عقيم، ما دامني ما بستاهل الموت بعد الاعتراف؟

إذا البذور موجودة، وين ممكن نلاقي مين يهتم بالزرع؟

إذا القطيع رجع من المرعى، مين بدو يستقبلو؟

مين بيفتح بْواب الحظيرة؟

مين بيحضّر طبق الزبدة؟

لمّن رزق البشر بيوقع بإيدين الوحوش!

لمّن ورتة الأب بتنهمل، لمّن ما بعود في حدا يهتم بالجنى!

لمّن ما بيلتقى حدا يبدّد الإهمال!

آخ يا هالقدر الملعون!

لمّن بيغيب صاحب الرزق، الأرض بتقلب صحرا!!

ما تخليها هيك!! ما تحوّلها لهالحالة!!

(يقطعه الألم والأفكار)

مهما بكي الطفل بوجع وصار الألم يوخزو بسقف حلقو

رح يقولوا لأنو شاف قدرو الأسود من لحظة ولادتو...

رح ضل حكاية، من دون ما ابلغ عمر إني جيب ولاد..

رغباتي رح تتبخّر متل الغيوم..

آمالي رح تسقط متل الأطلال..

ومعها آمال ولاد خيّي، يلّي ما حضّرتن مزبوط ليتولّوا ورتة بيّون..

(يوقفه الألم، فيصمت، وعندما يستعيد نفسه فجأة، يغدو صوته ضئيلاً، فيئنّ بصوت ضعيف. تتراجع نبرته أمام تعبه البالغ، وبالكاد تُفهم كلماته).

حتّى لو، حتّى لو كنت بشبه الأرض..

الأرض يلّي عم بتموت، صديقي بناديني الميّت..

إذا شافني بشبه الأرض..

شو همّني إذا كنت بشبه الأرض؟!

لمّن بعد ما خلقتني، وعطتني الغذا حتّى آكل، التهمتني..

حتّى لو، حتّى لو كنت بشبه الأرض..

(وفيما يئنّ، يأخذ قطعة الخبز الصغيرة التي تركها له موغيس وإذ يحاول رفع قنينة المياه تسقط من يده وتتدحرج تحت السرير وتتناثر المياه في الأرجاء. يفقد الأمل، يستلقي إلى الخلف ويتابع همهمته، التي يزداد اختلاطها بصفير الألم. وفيما تتصاعد زفراته ويتلوّى من الألم، تتباطأ همهماته، ثم يدخل موغيس مندفعاً ومعه مغلّفٌ قديمٌ وقطعة ورق مهترئة مكتوب عليها أمر ما، وبعد لحظات، وباستهتار وهو تائه بالأفكار، يستلقي عند طرف السرير ويبقى هناك).

**موغيس:** (سرعان ما يبتسم، يلتفت إلى زيرفو، وبنبرة فيها شيء من السعادة والاستبصار)

آبيي، شفت الرسالة يلّي بعتها تـ.. – تيكولا من السجن؟ ... جيت بسرعة عالبيت لحتّى اقدر اقرالك ياها. هيدي هيّي. هيدا المكتوب فيها. «إلى عمّي، آبيي زيرفو وإلى أخي، غاشاي موغيس بيتنا... كيف حالكم؟ طمّني.. تحسّنت حال آبيي؟ أنا بخير. بحلفلكن، عم قول الحقيقة... أنا بخير. متل ما بتعرفوا، كل يلّي أنا معهن هون استهلكوا حالن بالمدينة، متل ما أنا عملت، وبطّلوا يصطنعوا شي. الواحد بيقدر يطلّع ويشوف جرح يلّي مقابيلو. لمن بتكون سرقة الحرامي مكشوفة، وواضح كيف شاهد الزور كذّب وخلا الشخص الخطأ يتعاقب، وكيف النصّاب احتال على الناس وخدعهون، ما حدا عندو شي يخبيه. ومتل ما قلت، صرت عم شوف هالمكان مدرسة للمعاناة أكتر منّو بس سجن. وعم بتأكد أكتر إنو معاناتهن هيّي معاناتي، وإنّو جروحن هيّي جروحي، وروايحهن هيّي روايحي. من اليوم الأول وقت يلّي حلقولي شعراتي وانضميتلّن وضربوني وطلبوا منّي ابزق المصاري يلّي مخبيها لأشتري شمع[21]، حسّيت بحقد كبير تجاهن. بس مع الوقت، لمن صرت شوف وسخ روحي معكوس بمرايا عيونن، بعتقد إنّو مرارتي تلاشت. في خبر حلو لآبيي! قلّو إنّو إيديّي يلّي ما عرفوا إلّا كيف يشدّوا على السكين، صاروا يعرفوا هلّأ كيف يتواضعوا وتعلّموا يشتغلوا بالأرض. قلّو إنّي حرثت قطعة أرض صغيرة وبلشت أزرع بصل وإهتم بالخضرة. خبرو إنّي رح بلّش إتعلّم متلك (مثل زيرفو) يلّي سميتها موهبة أنو تحني جبينك لوسخ الأرض، الشغل بالوسخ، ورفع الوسخ، وينشغل بالي على النبت يلي زرعتو، وإذا كانت العروق عم تنما أو ما عم تنما، وإذا الأعشاب خنقتهن أو لاء، وإذا الشمس غابت، وإذا كانوا عطشانين بدّن يشربو... يا غاشاي، يمكن ضل أنا عبد للمرارة، متل ما كنت دايماً. يمكن ضل إجهل هويتي وإبقى سكران بعتمة الكوابيس. بس

**21** لأن إضاءة الفوانيس بالسجن لها برنامج صارم ومحدّد، يسعى السجناء إلى تجميع مخزون من الشمع للإنارة في وقت يتعدّى البرنامج.

يا غاشاي، بعتقد إنّو الفكرة رح تخلّيكون، إنت وآبيي خصوصاً، تفرحوا شوي إذا عرفتوا إنّو إيديّي رح تتعلّم نزع الوسخ، وإنو شحمات إيديي رح تختلط بالوسخ، رح إتعلّم العناية بالزرع ولهالسبب عم إكتبلكون. مين بيعرف، يمكن بس إطلع من هون، روح أنا وآبيي لأرض بَينا ويمكن إتعلّم أكتر عن الوسخ وطعمتو... بس، وكونن قالوا إنّو الحكيم بمستشفى دغماوي مينيليك وقّع إفادة بتقول إنّو حالة الرجال يلّي طعنتو بعدا حرجة، فيمكن ما رح إطلع من هون أبداً. معقول إنكن كمان ما سمعتوا عن هالشي؟ - أو إنكن سمعتوا وخبيتوا الخبرية عنّي لإنكن فكّرتوا إنّو هالشي ممكن يشغلّي بالي؟ (يغصّ موغيس بالدموع ويبقى صامتاً لبعض الوقت ثم لا يلبث أن يتابع القراءة) بالنهاية، خلّينا نتمنّى إنّو نكون مستحقّين نقابل بعض من جديد، وقول لآبيي انشا الله يصير أحسن. خبرو شو قلت، يمكن إذا ضهّروني، رح نترك هالمكان سوا.» (بعد هنيهة صمت، يكبح آخر نوبات الحزن ويستبدلها بإحساس سعادة متصاعد) طيّب يا آبيي، ليش منّك مبسوط؟ ... عم بيقول إنّو تعلّم كيف بيكون طعم الوسخ ببيت المعاناة هيدا... عم بيقول إنكن رح تروحوا سوا على أرض أبابا... (يقترب قليلًا من زيرفو) آبيي. (يقترب أكثر إلى سريره) آبيي. (يزيح الغطاء على مهل) آبيي... آبيي!! (مذهولًا بمفاجأة كبيرة، يبقى في مكانه، فمه مفتوح. بعدها مباشرة، يتوجّه إلى الفتحة الصغيرة في الجدار، ينتزع قطعة البساط، وينشج بالحزن، بصوت عال) آ – آتو تيليلا، آ – آتو تيليلا!! أ – أرجوك، عـ. عمّي إجا من الضيعة ليتعالج من المرض وومـ. مات، فيك تخبّر الناس بلجنة الحيّ أو الإيدير[22]، حتّى يساعدوني بالدفن.

(سعال تيليلا بالكاد يُسمع. يتوجّه موغيس إلى سريره والخوف ما زال يتملّكه، مُرتجفاً ينتزع الغطاء الأسود عن السرير، ويلفّه وهو يرتجف حول جسد زيرفو. يرتجف وأسنانه تصطكّ، ويعود إلى المقعد، يجلس حزيناً متكوّراً حول نفسه. يتناهى من الخارج صوت

22 الإيدير: لجنة أو رابطة في الحيّ، كل عضو فيها يدفع مخصصاً شهرياً، فحين يموت شخص من عائلة أحدهم مثلًا، يأتي أفراد اللجنة للمساعدة ويسدّدون كل تكاليف تحضير الدفن والكفن والقبر وتدابير العزاء بعد الدفن، فيتسنّى لأهل الفقيد تدبّر أمورهم مهما كانوا فقراء.

أفراد من لجنة الحيّ في غولا، يطلقون الأبواق والأصوات لإعلام الناس وتنطفئ الأضواء على مهل).

## المشهد 3

بعد دقيقتين، حين تعود الأضواء على نحو بطيء، لا السرير ولا الجسد الذي كان ممدّداً عليه زيرفو في مكانهما.

(من الخارج، وفيما أعضاء لجنة الحيّ في غولا يقدّمون تعازيهم لموغيس، «الله يكون في عونك، كن قوياً، آزرك الله، ثبّتك بقوّته»، وفيما موغيس المنهك يجيب، «آ – مين ... آ – مين ... آمين ...» تخفت الأضواء على مهلٍ ويتضاءل صوته إلى أن يغيب).

انتهى

AFAC ARAB FUND FOR
ARTS AND CULTURE
الصندوق العربي
للثقافة والفنون

مسرح ensemble
Theatre and audiences together
masrahensemble.org